أولاً قضايا النبوة
فى
ضوء الكتاب والسنة

دكتور
محمد مصطفى الشناوى
أستاذ العقيدة ومقارنة الأديان
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٦ / ٤٨٢٤
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 / 19 / 0667 - 4
مكتبه الأزهر الحديثه أمام فرع
جامعه الأزهر بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذى أبدع وجود الكائنات فكانت دليلا على وجوده ، وعلمه ، ووحدانيته ، وقدمه ، وبقائه ، فهو لأول والآخر ، ظهر بإيجاده للكائنات وتحيرت فى أدراك حقيقته أفكار العقلاء ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله ربه لتطهير لعقول من نجاسة الإشراك وتحرير العقائد من رق التقليد وعلى آله وصحبه لذين عرفوا الله حق المعرفة ففازوا بسعادة الدارين .

وبعد

فهذا بحث عن قضايا النبوة فى ضوء الكتاب والسنة وضحت فيه معنى الوحى وأنواعه ووقوعه ، بالأدلة النقلية والعقلية والعلمية حتى لايكون للمنكرين والجاحدين لقضية الوحى من سبيل يسلكونها فى هذا الأنكار وذلك الجحود .

وتناولت فيه أيضاً معنى النبوة ، موضحا الفرق بين النبى والرسول من وجهة نظر العلماء القائلين بذلك ، وقد بينت أنه لاسند لهم فى هذا التفريق إلا الافتراض الذى لايعتمد على نص شرعى أو سند لغوى . والقرآن الكريم لم يذكر أن هناك فرقا بين النبى والرسول فكان يجب الوقوف عند نصوص القرآن الكريم فى هذه المسألة .

ثم بينت وجه الحاجة لى الرسالة ، وذلك لأن عقول البشر قاصرة وادراكها متفاوت ، فكان من رحمة الله تعالى بعباده ان ارسل لهم الرسل الكرام ليبينوا للناس طريق

العبادة والشرائع والتكاليف التى كلفهم الله بها ٠

ثم ذكرت فيه شبه منكرى النبوة ورددت عليها بما يبطلها ويدحضها ، وبينت مايجب ومايجوز ومايستحيل فى حق هؤلاء الرسل . وهل هناك تفاضل بين الأنبياء ؟ ووجه هذا التفاضل ؟

وتحدثت عن معنى المعجزة وشروطها ، ووجه دلالتها على صدق الرسل عند المتكلمين ؛ وبينت أنواع المعجزة وتعريف الكرامة ، والفرق بين المعجزة والكرامة ، والسحر ، وحد الساحر ٠

وأخيراً عقدت فصلا لبيان معنى الصرفة، ورددت على القائلين بها ٠

والله أسأل أن ينفع بهذا لعمل كل طالب للحق تحصيلا وتطبيقا إنه سبحانه نعم الموفق والهادى إلى سواء السبيل ٠

د/ محمد مصطفى الشناوى

الفصل الأول : الوحى وأنواعه وامكان وقوعه

أولاً : المعنى اللغوى :-

ذكر اللغويون لكلمة الوحى معان عدة ، وهذه المعانى تشترك فى أنها جميعا تحمل معنى الإعلام فى خفاء .

يقول ابن منظور « الوحى : الإشارة والكتابة ، والرسالة والكلام الخفى ، وكل ما ألقيته إلى غيرك » (١)

وزاد صاحب القاموس المحيط قائلا « ... والصوت يكون فى الناس وغيرهم كالوحى والوحاة، وأوحى إليه : بعثه وألهمه ، ونفسه وقع فيها خوف ، والوحى : السيد الكبير والنار والعجلة والإسراع ويمد ، ووحى وتوحى : أسرع ، وشىء وحى : عجل مسرع ، واستوحاه : حركه ودعاه ليرسله واستفهمه ، ووحاه توجيه : عجله » (٢)

وفى المعجم الوسيط نجد تفصيلا للمعنى اللغوى للكلمة والفعل المشتق منه : « وحى » إليه وله « يحى » وحيا : أشار وأومأ ، وكلمه بكلام يخفى على غيرة وكتب إليه وأمره وأرسل وألهمه وسخره . « وحى » العمل : عجله ، والذبيحة ذبحها ذبحاً وحيا : أى سريعاً « توحى » أسرع « إستوحى » الإنسان والحيوان : دعاه واستعجله . « الوحى » كل ماألقيته إلى غيرك ليعلمه مايوحيه الله إلى أنبيائه ، والصوت يكون فى الناس وغيرهم ، « الوحى » يقال فى الإستعجال ، (٣)

وقال الراغب « أصل الوحى الإشارة السريعة ، ولتضمن معنى السرعة قيل أمر وحى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ص ٤٧٨٧ جـ ٦ طبعه دار المعارف بدون تاريخ

(٢) الفيروز آبادى : القاموس المحيط ص ٤٠٠ جـ ٤ طبعة بيروت

(٣) المعجم الوسيط : ص ١٠١٨ – ١٠١٩ جـ ٢ مجمع اللغة العربية

، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابه . » (١) وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا « فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم ٠

وقال ابن حجر (والوحى لغة الإعلام فى خفاء ، والوحى أيضاً الكتابة ، والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارةوالتصويت شيئاً بعد شيء ، وقيل : أصله التفهيم ، وكل مادللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو أشارة فهو وحى .) (٢)

وجماع ماتقدم من معان لغويةلمصطلح الوحى يفيدنا أن الوحى يطلق فى اللغة على مطلق الإعلام غير مقيد ذلك الإعلام بأحد معين يلقيه ولا بمستقبل معين يلقى عليه . كما أنه غير مقيد ذلك الإعلام بطريق معين من طرق المعرفة . كالرمز أو التعريض أو الإلهام أو الكتابة أو الكتاب أو الكلام ٠ (٣)

ولايلزم أن يكون ذلك على وجه السرعة أو الخفاء ، وإن قيل إن الأصل فيه السرعة والخفاء ، كما أنه غير مقيد بلون معين من المعرفة من الخير أو الشر ، بل يشمل كل ذلك وما من شأنه أن يكون طريقاً للأعلام حتى يكون المعنى اللغوى جامعاً لكل ماتقدم ٠ (٤)

وعلى ذلك يمكننا أن نقول فإن المصطلح اللغوى للوحى يشمل الوحى من الله تعالى إلى غير العاقل بمعنى الإلهام الغريزى قال الله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٥١٥ مادة " وحى " للراغب الأصبهانى طبعة الحلبى
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ص ١٤ جـ ١ طبعه دار الريان
(٣) الوحى الإلهى ص١٠ د. الحسينى هاشم هدية مجلة الأزهر عدد ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ
(٤) المصدر السابق ص ١٠

من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون » (١) وأيضا يكون الوحى من الله إلى البشر على سبيل الإلهام الفطرى الواضح من غير نبوة كقوله تعالى « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فأذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى أنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » (٢)

ويكون الوحى من الله إلى الملائكة بطريقة تتناسب مع ملائكيتهم كقوله سبحانه «اذيوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» (٣)

ويكون الوحى من الشياطينإلى أوليائهم بعيدين عن الخير قال الله تعالى « وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » (٤)

والمعنى اللغوى للوحى يتسع لكل هذه المعانى ، وهذا التعميم سمة المعنى اللغوى .

واذا كان بعض الكتاب قد قيد الإعلام بأنه الخفى السريع فلأن الأصل فيه ذلك ، ولكنه أصبح يطلق على مطلق الإعلام وإلا فالكتابة والكتاب مثلا لايتحقق فيها ذلك . وأى تحديد لايجعله يستوعب كل الصور المذكورة فالأولى التعميم فى المعنى اللغوى حتى يتسع لكل هذه المعانى وأن إختلفت كيفياتها ومصادرها وأهدافها ، فلا عليك أن تسمى كل ذلك وحياً لغوياً ، ولكنه ليس بالوحى الشرعى أو الحقيقة الشرعية للوحى . (٥)

---

(١) سورة النحل آية ٦٨

(٢) سورة القصص آية ٧

(٣) سورة الأنفال آية ١٢

(٤) سورة الأنعام الاية ١٢١

(٥) الوحى الإلهى ص ١٢ - ١٣ د . الحسينى هاشم

وهدفنا من هذا العرض أن نتجنب مسألة شائكة وهى الخلط بين المعنى اللغوى والحقيقة الشرعية للوحى .

ثانيا : الوحى فى لسان الشرع :-

يقول الشيخ الزرقانى (أما الوحى فمعناه فى لسان الشرع أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ماأراد اطلاعه عليه من الوان الهداية والعلم ، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر) (١)

ويبين الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الوحى شرعا : « هو إيحاء الله إلى أنبيائه ورسله أى القاؤه إليهم مايريد أن يعلموا من المعارف الدينية . » (٢)

وجاء فى تفسير المنار « ووحى الله إلى أنبيائه ، هو مايلقيه إليهم من العلم الضرورى الذى يخفيه عن غيرهم بعد أن يكون أعد أرواحهم لتلقيه بواسطة كالملك أو بغير واسطة . » (٣)

ثم يعرفه الأمام محمد عبده بقوله (إنه عرفان يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت) (٤)

وتعريف الإمام يعنى إدراك النبى عن طريق الحدس المباشر وعلى اليقين وأن تستيقن نفسه بأن الوحى الذى يتلقاه من الله سواء أكان بواسطة أو بغير واسطة .

والثقة واليقين بأن مصدر الوحى هو الله ، هو الفرق بين الوحى والإلهام ، إذ أن

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٦٣

(٢) الدين والوحى والرسلام ص ٥١

(٣) تفسير المنار جـ ٦ ص ٥٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٤) رسالة التوحيد ص ١٠٨ الطبعة السابعة أصدرتها دار المنار سنه ١٣٨٦ هـ

اليقين بأن مصدره الله ليس شرطا فى الإلهام ٠

ويقول الأمام محمد عبده فى ذلك مفرقابين الوحى والإلهام « ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجد ان تستيقنه النفس وتنساق إلى مايطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ٠» (١)

ويمكن القول بأن الفرق عند الإمام بين الوحى والإلهام ، ينحصر فى حدوث اليقين فكلاهما يعتمد على الوجدان، لكن الوحى يجمع بين الوجدان واليقين بينما الإلهام يقف عند حد الوجدان وذلك لأن معرفة المصدرضرورية فى الوحى وذلك لأنه ليس أمراً ذاتياً خاص بالنبى فحسب ، بل يتعداه إذ أن النبى مكلف بإبلاغ ذلك الوحى إلى الناس ، فلابد من حدوث اليقين بأن مصدر الوحى هو الله ٠

على أن هذا لايقلل من شهادة الوجدان وصدقها ، بل يجمع بين صدق الوجدان وحدوث اليقين٠

ومن خلال تلك التعاريف نستخلص الحقائق التالية :

١- أن حقيقة الوحى الشرعية تتمثل فى إعلام الله إلى أنبيائه فلا يكون مصدره إلا من الله العلى العظيم ولايتلقاه إلا نبى لرب العالمين فهو متميزا رسالا واستقبالاً وله صفته الخاصه ٠ (٢)

٢- أن ظاهرة الوحى ناموس الهى يتلقى به جميع الرسل والأنبياء مايلقى إليهم من إعلام ٠

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٨

(٢) الوحى الإلهى ص ١٤ د . الحسينى هاشم

٣-أن الوحى إعلام من الله المحيط بكل شىء علماً . (١)

٤- أن الرسول أو النبى الذى يتلقى هذا العلم الإلهى لايكون لإرادته وأختياره أدنى تدخل فى مضمون مايلقى إليه أو فى لفظه أن كان الوحى لفظا وفى نفس الوقت يكون هذا المتلقى مستجمعاً لكامل شعوره الفكرى والوجدانى حول مايلقى إليه من علم .

إن هذه الحقائق المستخلصة من التعريفات الكثيرة للوحى الشرعى تضفى على الوحى الشرعى صبغة خاصة ترفعه إلى درجة عالية لايدانيه فيها أى نوع من أنواع الإعلام أو الإتصال الأخرى .

كما أن هذه الحقائق تجعل الوحى الشرعي متميزاً كل التميز عن مايسمى بالوحى النفسى أوالمكاشفة أو غير ذلك من الألفاظ التى يراد ادراج الوحى الشرعى ضمنها .

ويوضح ذلك المعنى الأستاذ مالك بن نبى قائلاً « يذهب بعض علماء الدراسات الإسلامية إلى أن مصطلح وحى الذى يطلقه القرآن على هذه الظاهرة إنما يعبر عنه بكلمة المكاشفة أو الوحى النفسى أو الإلهام لكن هذه الكلمة الأخيرة ليس لها أى مدلول نفسى محدد مع أنها مستخدمة عموما لكى ترد معنى الوحى إلى ميدان علم النفس ، أما الكلمة الأولى فلها على العكس مدلول ، ولكنه لايتفق مع الأحوال الظاهرة الملحوظة لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى حالة التلقى التى يعانيها أثناء نزول الوحى .

ومن ناحية أخرى ، تعرف المكاشفة أو الوحى النفسى من الوجهة النفسية بأنها « معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير أو خاض فيه التفكير فعلا . » بينما يجب أن يأخذ

---

(١) عبد الرحمن الميدانى : العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٥٢٩ دار القلم دمشق الطبعة الرابعة سنه ١٤٠٦ هـ سنه ١٩٨٦ م .

الوحى « معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لايشغل التفكير ، وأيضا غير قابل للتفكير » لكى يكون متفقا مع اعتقاد النبى ومع التعاليم القرآنية . فمن المفيد إذن أن ندرك نوع الظاهرةالتى يمكن أن تكمن خلف لفظة « وحى » .

ونضيف أيضاً أن المكاشفة لاتصحبها أية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذى نلحظه فى حالة النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن الوجهة العقلية لاتنتج المكاشفةعند صاحبها يقيناً كاملاً ، بل كأنما تخلق نصف يقين أى بعض مايؤدى إلى مايسمى احتمالاً ، والإحتمال معرفة يأتى برهانها بعدها وهذه الدرجة من الشك هى التى تميز المكاشفة من الوحى من الناحية النفسية .

أمايقين النبى فقد كان كاملاً مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية ، وطارئة وخارجه عن ذاته . (١)

ثالثاً : أنواع الوحى :-

لقد وضح لنا القرآن الكريم أنواع الوحى فى قولة عز وجل « وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه مايشاء أنه على حكيم » (٢)

فقد حصرت هذه الآية الكريمة أنواع الوحى فى ثلاثة :

النوع الأول : وحى الإلهام :

ويكون ذلك بالقاء المعنى فى قلب نبيه يقظة أو مناماً ، مع جعله يشعر شعوراً كاملاً

---

(١) مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية ص ١٣٩ - ١٤٠ ترجمة د . عبد الصابور شاهين . دار الفكر .

(٢) سورة الشورى آية ٥١

واضحاً بأن هذا المعنى من عند الله ، فليس بمطلق الإلهام الغامض غير معروف المصدر ، بل هو الهام واضح متميز عن غيره معلوم مصدره لدى النبى صلى الله عليه وسلم بأنه من عند الله . (١)

النوع الثانى : الكلام من وراء حجاب :

ويكون ذلك بأن يكلم الله نبيه من وراء حجاب وبلا واسطة ومن ذلك ماحدث لسيدنا موسى عليه السلام عندما كان مع أهله فى ليلة باردة وقال لأهله امكثوا وانتظروا إنى آنست نارا لعلى آتيكم من هذه النار بقبس أو لعلى أجد على النار هاديا يهدينى السبيل فلما أتاها وهو أمام الشجرة فأذا به يجد الهدى الحق ونودى « ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك أنك بالوادى المقدس طوى . » (٢)

النوع الثالث : الوحى بواسطة الملك :

وهو أن يرسل الله ملكا رسولاً وهو أمين سر الوحى جبريل عليه السلام أنه على حد تعبير ورقة بن نوفل « الناموس الذى كان ينزل على موسى » وسماه القرآن بالروح الأمين ، فقال تعالى « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (٣)

وقد بين أحد الباحثين أن الوحى ينقسم إلى قسمين هما :

١- الحقيقة .

٢-المجاز .

---

(١) الوحى الإلهى ص ١٥

(٢) سورة طة أيه ١١ ، ١٢

(٣) سورة النحل آية ١٠٢

فالوحى الذى مصدره الله يكون هو الوحى الحقيقى ، أما الصادر عن غير الله فهو وحى مجازى . لذلك جعل للوحى الحقيقى صوراً ، يقول « أما ماكان على سبيل الحقيقة فهو على أربعة أنواع :

الأول: وحى الله إلى البشر بأوجهه الثلاثة عين النبوة .

الثانى: وحى الله إلى الملائكة ، فهو اطلاق أمره عليهم .

الثالث: وحى الله إلى الإجرام السماوية فهو التسخير .

الرابع: وحى الله إلى الحيوان الأعجم كوحية إلى النحل وهو التعليم والتلقين .

أما ماكان على سبيل المجاز فهو نوعان :

١- وحى البشر إلى البشر ، فهو الإشارة باليد أو بالكتابة أو بالإيماء .

٢- وحى الشياطين إلى البشر ، وهو الوسوسة .

ويقول: هذا التقسيم هو وحده القائم على القياس والضبط الصحيح وهو التقسيم الثابت ، الذى يمكن إتخاذه قاعدة ثابته يزول بها الأضطراب والإرتباك الذى وقع فيه الكثير من المتقدمين والمتآخرين ، فاضطروا به إلى تأويل كلمة الوحى إلى أم موسى وإلى الحوار بين أنه وحى إلهام غير نبوة ولم يكن لهذا التأويل حجة ولا دليل قطعى ، بل كان على دليل ظنى » (١)

ولقد أتضح من كلامه أن الدافع له على هذا التقسيم هو القول بنبوة أم موسى والحوار بين ، وكل ماأوحى الله إليه من البشر فهو نبى ، إذ قد قصر الوحى المجازى على وحى البشر إلى البشر ووحى الشياطين إلى البشر ، ومعنى هذا أن كل ماعدا ذلك

---

(١) آدم عبد الله الآلورى . فلسفة النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن والسنة ص ٨١ - ٨٢

يكون وحياً بالحقيقة لا بالمجاز .

وهو بهذا يكون قد خالف الجمهور وحكم بنبوة من لم تثبت له النبوة بدليل قطعى .

وهو أيضاً قد خلط بين المعنى اللغوى للوحى ، والمعنى الشرعى له، فالوحى بمعناه اللغوى وهو مطلق الإعلام، يدخل فيه الوحى الى غير الأنبياء ، فاذا أوحى الله إلى الملائكة أو إلى بشر لم تثبت نبوتهم أو إلى الجمادات أو الحيوانات أو أوحت الشياطين إلى البشر أو الى بعضهم البعض فأن ذلك كله إنما هو من قبيل الوحى اللغوى لا الشرعى والقول بهذا أولى من القول بنبوة من لم تثبت له النبوة بدليل قطعى .

وكذلك ثبت أن فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم محدثين وملهمين فهل يمكن الحكم بنبوة هؤلاء حيث أن مصدر الهامهم هو الله وكيف يستقيم هذا وقد قال الله تعالى «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين» (١)

يقول ابن تيمية (وليس كل من أوحى إليه الوحى العام يكون نبياً ، فانه قد يوحى إلى غير الناس ، قال تعالى « وأوحى ربك إلى النحل ... » (٢) وقال تعالى « وأوحى فى كل سماء أمرها » (٣) وقال تعالى حكاية عن يوسف وهو صغير « فلما ذهبوا به واجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون » (٤)

يتناول وحى الأنبياء وغيرهم كالمحدثين والملهمين كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر

---

(١) سورة الأحزاب آيه ٤٠
(٢) سورة النحل آية ٦٨
(٣) سورة فصلت آية ١٢
(٤) سورة يوسف آية ١٥

منهم » (١)

وقال عبادة بن الصامت : رؤيا المؤمن كلام يكلم الله به الرب عبده فى منامه ، فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديثالذى هو لهم خطاب والهام وليسوا بأنبياء معصومين مصدقين فى كل مايقع لهم فانه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيحاء الرب ، بل من إيحاء الشيطان وإنما حصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحى الرحمن ووحى الشيطان (٢)

رابعاً : امكان وقوع الوحى :

هناك أدلة كثيرة على إمكان وقوع الوحى منها الأدلة النقلية، ومنها الأدلة العقلية ، والعلمية .

١-*الأدلة النقلية :*

إن وقوع الوحى وحدوثه ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فآيات كثيرة : منها قوله تعالى « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً » (٣)

وقوله سبحانه « ومارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٤)

---

(١) البخارى ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل الصحابه

(٢) ابن تيمية النبوات ص ٢٤٦ - ٢٤٧ دار الكتب العلمية بيروت

(٣) سورة النساء آية ١٦٣

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥

وقوله عز وجل « وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » (١)

وأثبتت السنة الوحى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وماثبت له عليه السلام يثبت غيره من رسل الله ٠

من ذلك مارواه البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ٠

(أحيانا يأتنى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ماقاله. وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد وأن جبينه ليتفصد عرقا ٠) (٢)

٢- إمكان الوحى عقلا :

يدلل الإمام محمد عبده على إمكان وقوع الوحى عقلا فيقرر عدة مقدمات لابد من التسليم بها فيقول (قلت أى إستحالة فى الوحى وأن ينكشف لفلان مالا ينكشف لغيره من غير فكر ولاترتيب مقدمات مع العلم أن ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة ؟) (٣)

فهو يرى أنه لا استحاله أبداً فى أن ينكشف لفلان من الناس مالاً ينكشف لغيره من غير فكر من هذا الإنسان ولاترتيب مقدمات وأن يعلم هذا الإنسان أن ما انكشف له إنما هو من قبل الله تعالى (واهب الفكر ومانح النظر) ٠

---

(١) سورة النجم آية ٣ ، ٤

(٢) صحيح البخارى جـ ١ باب بدء الوحى

(٣) رسالة التوحيد ص ١١٠

ثم يقول (مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوته يعلوبعضها بعضاً ، وأن الأدنى منها لايدرك ماعليه الأعلى إلا على وجه الإجمال ، وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعليم فقط ، بل لابد معه من التفاوت فى الفطر التي لامدخل فيها لإختيار الإنسان وكسبه) (١)

فهو يرى أن عقول الناس متفاوته وأن هذا التفاوت ليس مرجعة إلى كسب الإنسان فقط ، بل أيضا لابد معه من التفاوت فى الفطر البشرية التى لامدخل للكسب فيها ، ومادام الأمر كذلك وأن الفطر متفارته فما المانع من أن بعض النفوس البشرية يكون لها من النقاء بأصل الفطرة أن تتصل بالعالم الآخر وتتلقى منه التعليمات لصالح البشرية جميعاً .

يقول الإمام محمد عبده (فإذ اسلم ولامحيص من التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها أن لايسلم بأن من النفوس البشرية مايكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ماتستعد به من محض الفيض الإلهى لأن تتصل بالأفق الأعلى ، وتنتهى من الإنسانية إلى الذروة العليا ، وتشهد من أمر الله شهود العيان ، مالم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسه بعصا الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم مايعلو وضوحاً على مايتلقاه أحدنا عن أساتذة التعاليم ... » (٢)

ثم يرى بعد ذلك أن هذه النفوس التى استطاعت أن تتلقى علماً تقوم بتعليمه ودعوة

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠

(٢) المصدر السابق ص ١١١

الناس إليه وأن يكون ذلك سنة الله فى كل أمة إلى أن يبلغ النوع الإنسانى أشده ويكون مامنحه الله من هداية كافية لإصلاح معاشة ومعادة فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة . (١)

ومن ذلك يتضح أن العقل يثبت وقوع الوحى وإمكانه ولايحيله ولايملك أية وسيلة لنفيه.

إن الذين ينكرون الوحى ليس لهم دليل أو سند يعتمدون عليه سوى استغرابهم لإمكان وقوعه واستبعادهم له ، وخروجه عما ألفوه .

لكن هل يعنى خروج الوحى عما ألفوه من اتصالات بشرية أنه باطل أو مستحيل أو غير ممكن . ؟

لاشك أنهم بذلك قد كابروا العقل وأهملوا العلم فى مكتشفاته الحديثة التى يتمسكون بها .

٣-الأدلة العلمية على إمكان وقوع الوحى:

لقد أثبت العلم الحديث أن مافى هذا العالم ليس مادة فقط وإنما هناك أشياء وراء المادة تؤيد إمكان الوحى ووقوعه .

من ذلك ماذكره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه « مناهل العرفان » فقد ذكر أدلة كثيرة على إمكان وقوع الوحى من الناحية العلمية فقال :

الدليل الأول : التنويم الصناعى أو المغنطيسى:

والتنويم المغناطيسى علم من العلوم يستطيع المنوم أن يسيطر على إنسان ما ويجعله

---

(١) المصدر السابق ص ١١١

يعتقد بما يشاء من أفكار ، وهذه السيطرة إنماهى من قبيل التأثير الروحى .

ويذكر الشيخ الزرقانى أن هذا العلم أكتشف فى القرن الثامن عشر والذى اكتشف عالم المانى ، وقد جاهد هذا العالم واتباعه على مدى قرن كامل من الزمان فى سبيل اثبات هذا العلم ، ويذكر أن العلماء بعد أن أطمأنوا إلى تجارب هذا العلم واختبروا به الآلاف المؤلفه أثبتوا بواسطته مايأتى :

١- إن للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا وهو فى حالة التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع ويقرأ من وراء حجب ، ويخبر عن أشياء مما لايوجد فى عالم الحس .

٢- إن للتنويم درجات بعضها فوق بعض يزداد العقل الباطن سموا بتنقله فيها .

٣- أثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحاً وأن الروح مستقله عن الجسم كل الإستقلال ، وأنها تتصل بالأرواح التى سبقتها إذا تجردت عن المادة إلى غير ذلك مما لانسلم بتفصيله .

وعلى كل فأن هذا العلم من الآيات المباهرات التى يجريها الله على أيدى الطبيعيين الذين ينكرون ماوراء المادة ، مصداقا لقوله تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » (١)

فاذا كان المخلوق يستطيع أن يؤثر فى نفس مخلوق مثله فهل يبعد أن يؤثر مالك القوى والقدر فى نفس من شاء من عبادة بواسطة الوحى ، كلا ثم أنه على مايشاء قدير . (٢)

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) مناهل العرفان جـ ١ ص ٦٦ طبعه الحلبى

الدليل العلمي الثاني :

أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب مانعرفة ، ونشاهده وننتفع به مما يسمونه بالتليفزيون مثلا واللاسلكى الذى يحدد جهة الإرسال والإستقبال وينقل الكلام بنفس الصوت والألفاظ ، والراديو وغير ذلك ، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر على أن يوحى إلى بعض عباده ماشاء عن طريق الملك أو غير الملك تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .(١)

الدليل الثالث :

استطاع العلم أيضاً أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد بأصوات وأنغام وقرآن كريم ، وكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان وبين أيدنا من ذلك الشيء الكثير الذى لاسبيل إلى إنكاره أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر جل وعلا بواسطه ملك ومن غير واسطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدى به خلقه ويظهر به حقه على وجه يجعل ذلك الكلام منقوشا فى قلب رسوله حتى يحكيه بدقة وإتقان. (٢)

ومن الأدلة العلمية على إمكان وقوع الوحى أيضاً : مايقوله أحد الباحثين المعاصرين: أننا نستطيع أن نفهم هذه المسألة بسهولة تامه بفضل الحقائق العلمية .

إن هناك وقائع كثيرة جداً تجرى من حولنا فى كل لحظة ، ونحن نعجز عن إدراكها أو سماعها ، أو الإحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية ، وقد أستطاع العلم الحديث أن

---

(١) مناهل العرفان جـ ١ ص ٦٩ ، والوحى الالهى ص ٥٠ د . الحسينى هاشم

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٩

ييسر لنا ادراكها بفضل الأجهزة العلمية التى اخترعناها ، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال ، وكأنه يطير عند أذنك .

ومن الأجهزة العلمية ماوصل التقدم فيه إلى حد أنها تسجل صدام الأشعة الكونية فى الفضاء .(١)

ثم نراه يبين أنه إذا كانت الإختراعات العلمية الحديثة قد أثبتت وجود أشياء فى الكون لايستطيع الإنسان أن يدركها بواسطة الطرق السمعية التقليدية ، فهناك أيضا بعض الحيوانات قد منحها الله القدرة على رؤية أشياء غير عادية :

فيقول (وهذه الطاقة غير العادية للسماع لاتخص الآلات العلمية الحديثة وإنما وهبها الله لبعض الحيوانات أيضاً . ومما لاشك فيه أن جهاز سماع الإنسان محدود جداً ، ولكن أجهزة بعض الحيوانات تختلف كل الإختلاف .) (٢)

ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال (فالكلب مثلا يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذى مر من الطريق ، ومن ثم استغلت الكلاب فى البحث عن الجرائم والمجرمين.. فالقفل الذى كسره اللص بشمه الكلب المدرب ، ثم ينطلق مقتفيا أثر الرائحة المعينة التى وجدها عند القفل المكسور وفجأة نراه يمسك باللص من بين الألوف .

وهناك حيوانات كثيرة تسمع أصواتاً تخرج عن نطاق أسماعنا ولقد أثبتت البحوث فى هذا الميدان أن بعض الحيوانات تتمتع بقوة « الأشراق » فلو أنك وضعت حشرة مما يطلق عليه (Moth) أو (العته) وهى حشرة مجنحة على نافذة مفتوحة فستحدث صوتاً

---

(١) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ١٥٠ ترجمه ظفر الإسلام خان مطابع المختار الإسلامى

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠

يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جداً ولسوف يجيبها هذا الزوج أيضاً بطريقته .

وهناك نوع خاص من هذه الحشرات يدعى « الجندب » يحك رجليه وجناحيه وبصوت بطريق غير عادى، و يسمع على مبعدة نصف ميل ، وهو يحرك فى هذه العملية ستمائة طن من الهواء ، ليدعو زوجه ، وهذه الزوج ترسل أيضا وهى ساكنة بلاحراك جواباً لانعرفه ، وإنما يعرفه الجندب الذكر ، ثم يلحق بها أينما كانت .

ثم يقول « ولقد أثبتت البحوث أيضاً أن « أبو النطيط » العادى لدية قدرة خارقة على السماع حتى أنه يستطيع أن يسمع ويحس الحركة التى تحدث فى نصف قطر من ذرة الهيدروجين » .

وهناك أمثلة كثيرة أخرى تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوى الحواس الخاصة ، وإذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة فى ادعاء إنسان أنه يسمع صوتا من لدن ربه ، ولايدركه عامة الناس .

مادام من الممكن أن توجد فى هذا العالم حركات وأصوات لاتسمعها آذان الإنسان ولكن تسجلها الآلات ؟

ومادامت هناك وسائل تدركها حيوانات دون أخرى ؟

ماهو جانب التعجب والإستبعاد ؟

إن الله تعالى لحكمة يعلمها يرسل رسائله خافته إلى الإنسان المختار للرسالة، بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها ، فليس هناك من تصادم فى الحقيقة بين مشاهدتناوتجاربنا العلمية فهو واقع من الوقائع الكثيرة التى نشاهدها ونجربها فى

أمكنة وطرق مختلفة فالوحى إمكان وجدناه فى شكل الواقع بعد التجربة ٠ (١)

وكل هذه الأدلة والوقائع الثابتة تجعل الوحى أمر واقع فعلا وممكن عقلا ودعك مايقوله المنكرون والجاحدون ٠

(١) المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٢

الفصل الثانى : النبوة

أولاً : الدلالة اللغوية للنبوة :

جاء فى لسان العرب ، « النبوة والنباوة » والنبى ما ارتفع من الأرض ، والنبوة الشرف المرتفع من الأرض ، والنبى العلم من أعلام الأرض التى يهتدى بها ، ومنه اشتقاق النبى ، لأنه أرفع خلق الله ، وذلك لأنه يهتدى به ، قال الكسائى : النبى الطريق ، والأنبياء طرق الهداية ، وقال أبو معاذ النحوى سمعت أعرابيا يقول من يدلنى على النبى أى على الطريق وقال الزجاج القراءة المجمع عليها فى النبيين والأنبياء طرح الهمز ، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما فى القرآن من هذا ، واشتقاقه من نبأ وأنبأ أى أخبر ، قال والأجود ترك الهمز . » (١)

وقال الراغب الأصبهانى : « والنبوة : سفارة بين الله وبين ذوى العقول من عباده لإزاحة علتهم فى أمر معادهم ومعاشهم والنبى لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول الذكية » (٢)

ويبين البغدادى معنى النبى فى اللغة أيضاً فيقول « النبى فى اللغة مهموز وغير مهموز فالمهموز مأخوذ من النبأ الذى هو الخبر ، وغير المهموز يحتمل وجهين : أحدهما التخفيف باسقاط همزته ، والثانى أن يكون من النبوة التى هى الرفعة ، وهى ما أرتفع من الأرض ، وكذلك النبوة ما أرتفع من الأرض ، ويقال : نبا الشىء إذا ارتفع ، فالنبى على هذا هو

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ ٦ ص ٤٣٣٣ دار المعارف بدون تاريخ

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٧٣٣ اعداد الدكتور محمد أحمد خلف الله الناشر مكتبة الأنجلو المصرية . وانظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٨٩٦ مجمع اللغة العربية دار المعارف

الرفيع المنزلة عند الله تعالى . » (١)

وعلى هذا فاللغة تعطينا أن النبى ماأرتفع بين البشر وهو أعلاهم وأميزهم ، وبه يهتدى الخلق كما أنه هو الذى تميز وبلغ ، وهو السفير بين الله والخلق .

★المفهوم الاصطلاحى للنبوة :

والنبوة والرسالة هى إرسال الله تعالى الرسل والأنبياء إلى المكلفين من الثقلين ليبلغوهم عن الله تعالى شرائعه التى تؤدى إلى صلاح حالهم فى المعاش والمعاد ، وهذه النبوة هى قول الله تعالى لمن اصطفاه من عباده أرسلناك وبعثناك وبلغ عنا ، ونحو ذلك .. (٢)

★الفرق بين النبى والرسول :

ويتحدث العلماء عن معنى النبوة والرسالة ، ويفرقون بينهما فيقولون : إن النبى من أوحى إليه بشرع سواء أمر بتبليغة أم لم يؤمر ، والرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . (٣)

وقد ذكر الرازى فروقا بين النبى والرسول عند تفسير قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته .. » (٤) فقال « وقد ذكروا فى الفرق بين النبى والرسول أموراً

أحدها : أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبى

---

(١) أصول الدين ص ١٥٣ – ١٥٤ دار الكتب العلمية بيروت

(٢) شرح المواقف جـ ٨ ص٢١٨

(٣) توضيح العقيدة المفيد فى علم التوحيد لشرح الخريدة لسيدى أحمد الدردير جـ ٢ ص ٢٥

(٤) سورة الحج آية ٥٢

غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله .

والثاني: من كان صاحب الكتاب وصاحب المعجزة ، ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال فهو النبى غير الرسول .

والثالث : أن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك ؛ بل رأى فى النوم كونه رسولاً أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله فهو النبى الذى لايكون رسولاً وهذا هو الأولى . » (١)

ويبدو أن كلمة الرازى ، وهذا هو الأولى تنصرف إلى مجموع الأمور الثلاثة فى تأييد الفرق بين النبى والرسول ، وإلا فالرأى الثالث وحده لاينهض بالأولوية لأن فيه أن النبوة تثبت بالرؤية المنامية ، فمن رأى فى منامه أنه رسول الله يكون نبياً ، وهذا ليس بالجيد لما يقع فيه من التلبيس أو كونه محتملاً لذلك ، وكذلك فإن الرسالة لاتثبت بأخبار رسول آخر ، ولكن تثبت بأخبار الله وأمره و تأييده ، ولوصح ثبوتها بأخبار رسول آخر وأخبر فعلا رجلا بأنه رسول ، فيكون الثانى رسولاً لانبيا لكون المخبر على فرض صحته ذلك صادقاً فيما بلغ .

وقد فصل القرطبى القول فى هذه المسألة وذلك عند تفسيره لنفس الآية قائلا « إن هذه الآية مشكلة ؛ وذلك لأن قوماً يرون أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيهم مرسلين ، وفيهم غير مرسلين ، وغيرهم يذهب إلى أنه لايجوز أن يقال نبى حتى يكون مرسلاً ، والدليل على صحة هذا قوله تعالى « وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى» فأوجب للنبى الرسالة ، ومعنى نبى أنبأ عن الله عز وجل ، ومعنى أنبأ عن الله عز وجل

---

(١) تفسير الرازى : مفاتيح الغيب . جـ ٢٣ ص ٥٠ طبعة دار الغد

الإرسال بعينه .

وقال الفراء « الرسول الذى أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام اليه عيانا ، والنبى الذى تكون نبوته الهاما أو مناماً ؛ فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً . » (١)

وقد فرق الإمام البيضاوى بين النبى والرسول أيضاً فقال « الرسول من بعثة الله بشريعه جديدة يدعو الناس إليها والنبى يعمه ، ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام . فالنبى أعم من الرسول . » (٢)

ويذكر البغدادى أن كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة ، وكان مؤيداً بنوع من المعجزات الناقضة للعادات فهو نبى ، ومن حصلت له هذه الصفة ، وخص أيضا بشرع جديد أو بنسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله ، فهو رسول . (٣)

وقد فرق شارع الطحاوية بين النبى والرسول قائلا « وقد ذكروا فروقا بين النبى والرسول وأحسنها : أن من نبأه الله بخبر السماء أن أمره أن يبلغ غيره فهو نبى رسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبى وليس برسول فالرسول أخص من النبى ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً ، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة ، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف الرسل فإنهم لايتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس ، فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها . » (٤)

---

(١) تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٤٦١١ طبعة دار الغد .

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى جـ ٢ ص ٩٥ مطبعة صبيح .

(٣) الفرق بين الفرق : ص ٢٠٦ تحقيق طه عبد الرءوف الناشر مؤسسة الحلبى

(٤) العلامة : صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى : شرح الصحاوية فى العقيدة السلفية ص ٩٥ – ٩٦

وذكر صاحب العقائد العضدية أن النبى إنسان أوحى إليه من عند ربه سواء تعلق بالغير أم لا ، والرسول قد يستعمل مرادفا للمعنى الأول ، وقد يختص بمن له كتاب أنزل عليه أو شريعة أى قانون ودستور أعمال ، ومن لم يكن له هذا ولاذاك ، فهو نبى فقط ، وليس برسول ، ثم يقول : وقد يعرف النبى بانسان على الحق علماً وعملاً ، أى بحيث لايعلم إلا حقا ولايعمل إلا حقا على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة أى لايحتاج فيه إلى الفكر والنظر ، ولكن بالتعليم الإلهى فإن فطر أيضاً على دعوتبنى نوعه إلى ماجبل عليه فهو رسول أيضاً وإلا فهو نبى فقط وليس برسول . (١)

والرأى القائل بالنبوة الفطرية يدخل كثيرامن الفلاسفة فما الذى يمنعنا أن ندخل سقراط وافلاطون ، وقبلهما فيثاغورس ، وقد نطقوا بالحق على مقتضى الحكمة ، فإن ادعاها رجل كفيثاغورس ، كان نبياً على حد ما ذهب إليه الدوانى وهو خروج ظاهر عن مقتضى المفهوم الذى اصطلح عليه علماء الأمة فى تعريف النبى .

ويرى بعض المعتزلة أنهما بمعنى واحد واحتجوا لذلك بقولة تعالى « وما أرسلنا فى قرية من نبى .. » (٢) قالوا : إنها دالة على أن النبى قد يكون مرسلاً واحتجوا أيضاً بأن الله تعالى خاطب محمدا عليه الصلاة والسلام مرة بالنبى ومرة بالرسول وهذا يدل على أنهما بمعنى واحد . (٣)

ويقول القاضى عبد الجبار (... فأعلم أنه لافرق فى الأصطلاح بين النبى والرسول والذى يدل على إتفاق الكلمتين فى المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً فى

---

(١) العقائد العضوية جلال الدوانى طبعة أولى سنة ١٣٢٢ هـ المطبعة الخيرية

(٢) سورة الأعراف آية ٩٤

(٣) النبوات والسمعيات د . محى الدين الصافى ص ٥

الإستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام وهذا هو أمارة إثبات كلمتى اللفظتين المتفقتين فى الفائدة ...) (١)

ونحن نرجح كل الترجيح أن كل نبى رسول وكل رسول نبى ، وأن الله لاينبىء الأنبياء إلا ليرسلهم إلى الناس ليبلغوا مايوحى إليهم .

ثم إن النصوص القرآنية تؤيدنا فى هذا الترجيح ، وذلك لأن الله فى القرآن الكريم لم يفرق بين النبى والرسول ، فيقول الله تعالى « وكم أرسلنا من نبى فى الأولين » (٢) ويقول « ومـا أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لاتعلمون » (٣) ويقول « وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبى ... » (٤)

ذلك بأن الإرسال تعلق بالرسول وتعلق كذلك بالنبى ، ومعنى ذلك أن النبى قد أرسله الله إلى الناس داعيا إلى الحق ، فهو على هذا الأساس رسول من الله .

وقوله (وماأرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) (٥)

وقوله (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤقفكات أنتهم رسلهم بالبينات » (٦)

وبهذا البيان القرآنى نرى أنه لايوجد فرق بين النبى والرسول ، بل أن الرسول قد

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٧ – ٥٦٨

(٢) سورة آية

(٣) سورة الأنبياء آية ٧

(٤) سوة الحج آية ٥٢

(٥) سورة الإعراف آية ٩٤

(٦) سورة التوبة آية ٧٠

يطلق على النبى والنبى قد يطلق على الرسول ·

★ **هل النبوة منحة أم اكتساب : ؟**

الحق الذى يدين به الجمهور من المسلمين أن النبوة منحة من الله يختص بها من يصطفيه من خلقه لايرقى إليها عالم أو فيلسوف مهما فطر على جودة الفهم والتصور وقوة الذاكرة وحضور البديهة ومهما تعهد نفسه بالدراسات النظرية العميقة والتأملات العقلية الطويلة وتحلى بكل خلق حميد وتخلى عن كل أمر ذميم ·

ذلك مايصرح به الأمام الشهرستانى فى تعبيره عن مذهب أهل السنة والجماعة من المسلمين فى النبوة حيث يقول « إن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبى ولادرجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ولا استعداد يستحق به أتصالاً بالروحانيات بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عبادة » (١)

غير أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يتخير الله سبحانه لهذه المكرمه ويصطفى لتلك المنزلة يقول الحق تبارك وتعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٢) ويقول عز من قائل « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣)

ويذكر الأمام الشهرستانى مذهب أهل السنة فى هذا الصدد فيقول « فكلما يصطفيهم من الخلق قولا بالرسالة والنبوة يصطفهم من الخلق فعلا بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر وطيب الأخلاق وكرم الأعراق فيرفعهم مرتبة حتى إذا بلغ أشدة وبلغ

---

(١) نهاية الأقدام فى علم الكلام ص ٤٦٢

(٢) سورة الحج آية ٧٥

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٤

أربعين سنة وكملت قوته النفسانية وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية بعث إليهم ملكا وأنزل عليهم كتابا » (١)

بينما يذهب الفلاسفة إلى القول باكتساب النبوة . وقد قال البيجوزى بصدد فطرة النبوة وأنها ليست اكتساباً ما نصه « النبوة لايكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت الفلاسفة لعنهم الله تعالى ، والذى يذهب إليه المسلمون جميعاً أن النبوة خصيصية من الله لايبلغ العبد أن يكتسبها . » ثم يقول مبطلا رأى الفلاسفة « ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبى بعد سيدنا محمد أو معه وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة. (٢) فقد قال الله تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣) وقال عليه الصلاة والسلام « لانبى بعدى » واجمعت الأمة على إبقائه على ظاهره .

وأكد هذا المعنى الأمدى بقوله « ليست النبوة معنى يعود إلى ذات من ذاتيات النبى ، ولا إلى عرض من أعراضه ، استحقه بكسبه وعمله ولا العلم بربه ، فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة ولا علمه بنبوته اذا العلم بالشىء غير الشيىء « ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (٤) فليست إلا موهبة من الله تعالى . ونعمه منه على عبده وهو قوله لمن

---

(١) نهاية الأقدام للشهرستانى ص ١٦٣

(٢) شرحالبيجورى على الجوهرة ص ١٥٠ – ١٥١ لشيخ الإسلام ابراهيم البيجورى طبع المعاهد الأزهرية .

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٠

(٤) سورة ابراهيم آية ١١

اصطفاه وأجتباه إنك رسولى ونبى » (١)

وبهذا نرى أن النبوة والرسالة منحة من الله تعالى وليست مكتسبة وقد جاءت النصوص القرآنية مؤكدة لهذا المعنى وذلك مثل قوله تعالى « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (٢) وقوله « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٣) وقوله « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٤)

★حاجة البشر للرسالة :

لقد خلق الله الإنسان ، وفضله على كثير من خلقه وحباه بنعمة العقل ليميز به الخير من الشر ، والنافع من الضار ويدبر به أموره ، ولكن لما كانت العقول البشرية قاصرة ومتفاوتة فى إدراكها وفى حكمها على الأشياء فيستحسن بعضها ما يستقبحه البعض الآخر ، ويستقبح بعضها ما يستحسنه البعض الآخر فلا يحصل اتفاق على مقاييس موحدة للخير والشر والفضيلة والرذيلة والحق والباطل .

وأيضاً لأن العقل محدود الإدراك لا يستطيع التوصل إلى جميع المعارف فهو قاصر عن معرفة ما يسعده وما يشقيه فى حياتيه الدنيوية والأخروية ، ومن هنا كان إحتياج الناس إلى الرسل وكانت حكمة العليم الخبير الذى يعلم قصور العقل عن هداية الإنسان فى حياتيه فالرسل يكملون النقص فى العقل الإنسانى ويعرفونه ما يسعده وما يشقيه من

---

(١) غاية المرام فى علم الكلام ص ٣٥٥ تحقيق الأستاذ حسن عبد اللطيف . المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه .

(٢) سورة الأنعام آية ٨٩

(٣) سورة الحج آية ٧٥

(٤) سورة البقرة آية ١٠٥

الإعتقادات والأعمال (١).

لذلك نجد أن بعثة الرسل ضرورية لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى وذلك لأنهم يعضدون العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود البارى تعالى وعلمه وقدرته وذلك لينقطع عذر المكلف من كل الوجوه (٢) .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (٣).. وقال « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزى » (٤) .

فبين تعالى أن بعثة الرسل لقطع الحجة ، وتلك الحجة أن يقولوا إذا كان الله تعالى قد خلقنا لنعبده فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة ما هى؟ وكم هى ؟ وكيف هى ؟ فبعث الله تعالى الرسل ليبينوا للناس طرق العبادة ، وبينوا الشرائع مفصلة لتزول أعذارهم وتنقطع حجتهم . (٥)

وأيضـاً فإن بعثة الرسل ضرورية لأن العقل يستفيد الحكم من النبى فيما لا يستقل بمعرفته مثل إثبات صفة الكلام والرؤية والمعـاد ، ومنها أيضاً ازالة الخوف الحاصل عند الإتيان بالحسنات لكونه تصرفاً فى ملك الله بغير إذنه ، وعنـد تركها لكونه ترك طاعة ، ومنهـا بيان حال الأفعال التى تحسن تـارة وتقبح أخرى مـن غير اهتداء

---

(١) النبوات والسمعيات ص ١٧ د. محى الدين الصافى
(٢) المقاصد للتفتازاى ص ١٢٨ جـ ٢ ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢١٤ ص ١٧
(٣) سورة النساء آية ١٦٥
(٤) سورة طة آية ١٣٤
(٥) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازى ص ٢١٤

العقـل إلى مواقعها . (١) .

ومنها تعليم الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش .

قال الله تعالى فى داود " وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم " (٢)

وكانت هذه الصنعة هى صناعة الدروع التى تلبس فى الجرب فتحفظهم من الأعداء .

وقال النوح عليه السلام " وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا " (٣) ولاشك أن الحاجة إلى الغزل والخياطة والبناء ومايجرى مجراها أشد من الحاجة إلى الدرع ، وتوقيفها على إستخراجها بالتجربة خطر عظيم فوجب بعثة الأنبياء لتعليمها . (٤) ويبين الرازى أن من مهمة الرسل كذلك بيان معرفة الأدوية والسموم وغير ذلك فيقول " إن الأشياء المخلوقة فى الأرض منها غذاء ومنها دواء ومنها سم ، والتجربة لاتفى بمعرفتها إلا بعد الأدوار العظيمة ، ومع ذلك ففيها خطر على الأكثر ، وفى البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها من غير ضرر وخطر " (٥) .ويذكر الماتريدى ضرورة الحاجة الى الرسل ، وذلك لوجود التنازع بين الناس . وادعاء كل منهم الحق مما يجعل حاجتها إلى من يؤلف قلوبها ويجمع كلمتها ويردها إلى ماجعلت له من الصلاح والمعرفة ، ولا أحد أعلم بذلك إلا من خلقها وفى ذلك لزوم القول برسول تعلم أنه من عنده جاء .

فالماتريدى يرى بذلك ضرورة الرسل ليسنوا للناس شريعة العدل التى بها قوام

---

(١) شرح المقاصد ص ١٢٨ جـ ٢

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٠

(٣) سورة هود آية ٣٧

(٤) المحصل للرازى ص ٢١٥

(٥) المرجع السابق ص ٢١٥

حياتهم ولوترك الناس وشانهم لإختلفوا فى ذلك ورأى كل منهم ماله عدل وماعلية ظلم ٠

ولايكتفى الماتريدى بذلك ، بل يذهب إلي القول بالحاجة إلى الرسل ، وذلك لأنه ليس فى بداية العقول معرفة وجوه الزراعة ومايصلح للأغذية وأنواع الحرف والتجارات وتفرق البلدان وتعرف الألسن ، وسبيل ذلك هو التعليم وليس العقل ، وهذا يلزم القول بمن يطلعه الله على كل جوهر منها لتحيا بما ياكلون فى أبدانهم ، ويقيمون بدينهم ، وسبيل ذلك ليس بداية العقول ، وإنما هو التعليم على أيدى الأنبياء الذين أرسلهم الله للتعليم والأرشاد فى أمور الدين والدنيا ٠ (١)

وكذلك يرى الرمام محمد عبدة حاجة العالم الى الرسل ، وهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية ألكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها ، فالقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو أبداعها بما فيها سعادتها فى الحياتين ٠ (٢) أى أن وظيفة الرسل دينية ودنيوية ، وإرشاد الناس إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ٠

ولقد أفاض الأمام فى مهمة الرسل ، فهم يبينون للناس ما أختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتناز عنه مصالحهم ولذاتهم ، فيفصلون فى تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ، ويؤيدون بما يبلغون عنه ماتقوم به المصالح العامة ولاتفوت به المنافع الخاصة.

---

(١) التوحيد للماتريدى ص ١٧٩ - ١٨٢

(٢) رسالة التوحيد ص ١١٨

يعودون بالناس إلى الألفة ويكشفون لهم سر المحبة ، ويلفتونهم إلى أن فيها إنتظام شمل الجماعة ، ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم ، ويعلمونهم لذلك أن يرعى كل حق الآخر وأن كان لايغفل حقه ، وأن لايتجاوز فى الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدى راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم .

يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذى تهدر له وحظر من تناول شىء مما كسبة الغير إلا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله وإحترام الأعراض مع بيان مايباح لهم ومايحرم من الابضاع ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانه والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والاقدام على صحبة الاقوياء والأعتراف لكل مخلوق بحقة . (١)

وبعد هذا نستطيع أن نقول مع الإمام فخر الدين الرازى أن فى البعثة النبوية تنبية للغافلين الذين سيطرت عليهم الأهواء والشهوات حتى يبتعدوا عن مزالق الهاوية ، وفيها تذكير للعقول بأن فعل السوء يقود صاحبه إلى النار وعمل الخير يأخذ بيد صاحبه إلى الخير . (٢)

★حكم إرسال الرسل :

لاخلاف بين الفرق الاسلامية فى حدوث النبوة ووقوعها بالفعل ، ولكن الخلاف فى

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٢٠

(٢) محصل أفكار المتقدمين ص١٢٥

حكم إرسال الرسل هل هو واجب أم لا ؟ وللأجابة على هذا السؤال فلابد وأن نعرض لأهم الفرق الإسلامية وهى :-

أولاً : المعتزلة :

ترى المعتزلة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى لأن فيه صلاحاً للعباد ، كما أن فيه لطفاً بهم ، إذ يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية ، وذلك واجب على الله تعالى.

ثم نجد أن مفهوم الواجب عندهم هو مايستحق تاركه الذم والواجب لاتختلف حقيقتة بأختلاف الفاعلين ، فالحقائق لاتختلف فى الشاهد والغائب ، وهذا يعنى أن حقيقة الواجب لاتختلف ، فإن لم يثب الله تعالى الأنبياء والمؤمنين لكان كحال أحدنا إذا لم يفعل مايجب عليه من رد الوديعة . (١)

ويقصد المعتزلة بهذا الواجب ماتقضى به الحكمة ، فما تقضى به الحكمة فى الفعل الإنسانى ، تقضى به أيضا فى الفعل الإلهى ، والغرض هو إنتفاء القبح عن أفعاله تعالى ، فالصفة الجامعة لكل أفعاله هى الحسن .

ويرى القاضى عبد الجبار أنه لايجب على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه بالتكليف ، ومن التمكين والألطاف ، وإثابة من يستحق الثواب بما أوجبة بفعل الآلام من الأعواض . (٢)

أى أن الواجب هو مايقتضيه التكليف ، ويمكن القول وفقا لهذا أنه لايجب على الله تعالى إلا ماأوجبه على نفسه إذ أنه هو الذى أوجب التكليف فلا موجب عليه تعالى .

---

(١) المغنى جـ ١٤ ص ١٣ للقاضى عبد الجبار

(٢) المصدر السابق جـ ١٤ ص ٥٧

ويرى المعتزلة أن الله تعالى خلق الخلق لعلة ، وهذه العلة لاترجع إليه تعالى لغناه وعدم حاجته . (١) بل ترجع إلى الخلق وهى منفعة الخلق ، ولكى تتحقق منفعة الخلق لابد أن يقدرهم الله على فعل ماهو واجب ، والله تعالى قد قدر عباده على فعل ماهو واجب ، وذلك عن طريق اللطف الإلهى ، ومعنى اللطف هو مايدعو إلى فعل الطاعة على وجه يقع أختيارها عنده أو أن يكون أولى أن يقع عنده . (٢)

ومن مظاهر اللطف الإلهى إرسال الله تعالى الرسل ، وإذ أن الإعلام بالتكليف يكون بإرسال الرسل ، فإذا كان الله قد علم أن صلاحنا يتعلق بالشرعيات فلابد من أن يعرفنا إياها كى لايكون مخلا بما هو واجب عليه ، ومن العدل أن لايخل بما هو واجب عليه .

يقول القاضى عبد الجبار معبراً عن ذلك " إنه قد تقرر فى عقل كل عاقل وجوب رفع الضرر عن النفس وثبت أيضاً أن مايدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح فإنه واجب لامحالة ، ومايصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح فهو قبيح لامحالة ، إذا صح هذا وكنا نجوز أن يكون فى الأفعال ماإذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات وإجتناب المقبحات وفيها ماإذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ولم يكن فى قوة العقل مايعرف به ذلك ويفصل بين ماهو مصلحة ولطف وبين مالا يكون كذلك فلابد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال حتى لايكون عائداً بالنقض على غرضه بالتكليف ، وإذا كنا لايمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث الينا رسولا مؤيداً بعلم معجز دل على صدقه فلابد من أن يفعل ذلك ولايجوز له الأخلال به ولهذه الجملة قال مشايخنا "إن البعثة متى حسنت وجبت" (٣)

(١) مقالات الإسلاميين للأشعرى ص ٣١٨ جـ ١

(٢) المغنى جـ ٣ ص ٩١

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٤

ومن هنا نرى المعتزلة قد اعتمدوا فى الحكم بوجوب إرسال الرسل علي القول بالحسن والقبح بأعتبار أن الحسن والقبح عقليين فى نظرهم فكل فعل قرر العقل أنه حسن فهو واجب ، وكل فعل تقرر فى العقل أنه قبيح كان ممتنعاً وحيث حسنت النبوة فهى واجبة على الله تعالى .

ثانيا : الأشاعرة :

ويرى الأشاعرة أن أرسال الرسل جائز وليس بواجب وذلك لأنه لايجب على الله شيء . يقول الأمام الباقلانى معبراً عن رأى الأشاعرة " ويجب أن يعلم أنه يجوز إرسال الرسل وبعث الأنبياء خلافا لما تدعيه البراهمة " ثم يدلل على ذلك قائلا " إنه تعالى مالك الملك يفعل مايشاء مع ماسبق من أنه ليس فى أرسال الرسل إستحالة ولاخروج عن حقائق العقول ، فدل على جواز ذلك " (١)

واحتج الأشاعرة بعدم الوجوب على الله تعالى إستناداً إلى أن مفهوم الواجب ماينال تاركه ضرراً ، إما عاجلا أو أجلاً والضرر فى حقه تعالى محال . (٢) لذا ليس واجبا عليه تعالى أن يرسل رسلا إلى خلقه لأنه تعالى لايجب عليه شيء .

وقد رد الأشاعرة على المعتزلة قولهم بالحسن والقبح الفعليين وقالوا أن الحسن ماحسنة الشرع والقبيح ماقيمة الشرع ، وأنه تعالى خالق كل شيء ولايجب عليه شيء فأن أعطانا فبمحض فضله وأن منعنا فبمحض عدله . ثم أن الوجوب على الله يشعر بالنقص وهو سبحانه وتعالى منزه عنه .

---

(١) الأنصاف : ص ٩٢ - ٩٣ للباقلانى تحقيق عماد الدينأحمد حيدر .

(٢) الأقتصاد فى الأعتقاد للغزالى ص ١٤٨ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندى

وقد بين الأشاعرة أن الحسن والقبح أمران أضافيان لاذاتيان كما يزعم المعتزلة ، يقول الغزالى " أنهما أمران إضافيان مختلفان بالأشخاص ، ويختلف فى حق شخص واحد بالأحوال ، ويختلف فى حال واحد بالأعراض فرب فعل يوافق الشخص من وجه ويخالفه من وجه فيكون حسنا من وجه قبيحاً من وجه .

فمن لاديانة له يستحسن الزنا بزوجة الغير ويعد الظفر بها نعمة ويستقبح فعل الذى يكشف عورته ويسميه غمازا قبيح الفعل والمتدين لايسميه محسناً حسن الفعل ، وكل بحسب غرضة يطلق إسم الحسن والقبيح بل يقتل ملك من الملوك فيستحسن فعل القاتل جميع أعدائه ويستقبحه جميع أوليائه . (١)

فبهذا يتبين على القطع أن الحسن والقبح عبارتان عن الخلق كلهم عن أمرين إضافيين يختلفان بالإضافات عن صفات الذوات التى لاتختلف بالإضافة فلا جرم جاز أن يكون الشىء حسناً فى حق زيد قبيحاً فى حق عمرو ولايجوز أن يكون الشىء أسود فى حق زيد أبيض فى حق عمرو لما لم تكن الألوان من الأوصاف الإضافية . (٢)

واذا إنتفى كون الحسن والقبح ذاتيين وصح أنهما إضافيان لم يبق إلا أنهما شرعيان على ماذهب إليه أهل السنة ، وكونهما شرعيين " يلزم منه منع جواز إطلاق القبح على أفعال الله تعالى لعدم وروده على لسان الشرع المنقول . " (٣)

ولأن النبوة من أفعاله تعالي فلا تقبح فى حقة ولاتحسن بل هى منه تعالى محض لطف ورحمة وليس شىء من اللطف والرحمة بواجب على الله تعالى .

---

(١) الأقتصاد فى الأعتقاد ص ١٤٠

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠

(٣) غاية المرام فى علم الكلام للأمدى تحقيق د . حسن الشافعى ص٣١٩

وتجدر الإشارة إلي أن الأشاعرة وأن كانوا لايرون الوجوب العقلى للنبوة فهم لايشكون فى حدوث النبوة بالفعل أو حتى ينطرق الشك عندهم إلى ذلك فأرسال الرسل شيء ممكن للقدرة الإلهية ، وأمر واقعى قد حصل لكن حصوله ليس أضطراريا أو واجبا ، ولقد قال الشهر ستانى " وصارت الأشعرية وجماعة أهل السنة إلى القول بجواز وجود النبوة عقلا ووقوعها فى الوجود عياناً " . (١)

ثالثا : الفلاسفة :

أما الفلاسفة فقد ذهبوا كالمعتزلة إلى وجوب النبوة والرسالة لأن النظام الأمثل الذى تقتضيه العناية الإلهية الأزلية لايتم إلا بوجود النبى فالنبوة عندهم ضرورية بضرورة وجود النظام الأمثل فى العالم ، الذى لايليق بالعناية الإلهية أن تقبل بأقل منه فهى حاجة إجتماعية لاغنى للأجتماع البشرى عنها .

ذلك أن نوع الإنسان محتاج إلى إجتماع ومشاركة فى ضروريات حاجاته ، وأنه لابد أن يكون الإنسان مكتفيا بآخر من نوعة ، ويكون ذلك الآخر أيضا مكتفيا به وبنظيره ، فيكون مثلا هذا ينقل إلى ذاك وذاك يخبز لهذا ، وهذا يخيط للآخر ، والآخر يتخذ الإبرة لهذا حتى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً .

واذا كان هذا ظاهرا فلابد فى وجود الإنسان وبقائه من مشاركة ولاتتم المشاركة إلا بمعاملة ، ولابد فى المعاملة من سنة وعدل ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل ، ولابد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ويلزمهم السنة ، ولابد من أن يكون هذا إنسانا ، ولايجوز أن يترك الناس وآراءهم فى ذلك ، فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا ،

---

(١) نهاية الرقدام فى علم الكلام ص ٤١٧

وماعلية ظلماً ، فالحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجودة أشد من الحاجة إلى انبات الشعر على الأشفار والحاجبين ٠٠٠ فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضى تلك المنافع ولاتقتضى هذه التى هى أسها ٠

فواجب إذن أن يوجد نبى وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس ، حتى يستشعر الناس فيه أمراً لايوجد لهم فيتميز به عنهم فتكون له المعجزات التى أخبرنا بها ٠ (١)

وبهذا نتبين أن حكم النبوة عند الفلاسفة المسلمين من الواجب العقلى على معنى أنه لم يكن فى العقل بد من حصول لطف المبدأ الأول وإفاضة الجود منه ٠ (٢)

والناظر فى قول الفلاسفة يجد عدة أمور منها :

١- إنهم يقولون كالمعتزلة بوجوب النبوة لكن هنا فرقاً فى معنى الوجوب عند كل منهما فالمعتزلة يفسرون الوجوب بمعنى إستحقاقه تاركه الذم والعقاب ٠ والفلاسفة يفسرونه بمعنى لزوم الصدور وعدم التخلف ٠

٢- أن الوجوب بهذا المعنى عند الفلاسفة يؤول إلى الإيجاب بل هو الإيجاب حقيقه وما أشد من الوجوب لأن فيه سلب الإختيار تماماً وعلى ذلك فالنبوة يلزم صدورها عن الله تعالى دون تخلف وكيفية هذا الصدور يتأتى من وجهين :

الأول : أن النبوة جود من المبدأ الأول والجود من أخص صفات ذاته عندهم وما بالذات لايتخلف فالنبوة لأزمة عن ذاته لاتتخلف عنها بحال ٠

---

(١) النجاة فى الحكمة المنطقيةوالطبيعية والإلهية لإبن سينا ص ٣٣٩ منشورات دار الآفاق الجديدة تحقيق د ماجد فخرى

(٢) غاية المرام فى علم الكلام للآمدى تحقيق د . حسن الشافعى ص ٣١٩

الثاني: أن المبدأ الأول علة تامة والعلة التامة لاينفك عنها معلولها أبداً وحيث كان العالم هو معلول تلك العلة التامة فقد لزم صدور عنها صدور المعلول عن علته ويلزم من صدور العالم وجود من يحفظ عليه نظامه الأمثل والأكمل فكانت النبوة والأنبياء ٠

ولسنا نجد فى الواقع مايبرر قبول مثل هذا المذهب من الفلاسفة لمساسه الواضح بالكمال الإلهى المتمثل فى القدرة والإرادة والإختيار ، وبيقين فإنه إذا تقرر بطلان الوجوب الذى قالت به المعتزلة فبطلان الإيجاب عند الفلاسفة من باب أولى ٠

فالحق تبارك وتعالى لايجب عليه شىء لخلقه على أى معنى من معانى الوجوب ، بل هو جل شأنه الفاعل القادر المريد المختار وقد ثبت له كل ذلك بالدليل ٠

والمذهب الذى أميل إليه وأرتضيه وأدين به هو مذهب أهل اسنة وذلك لتوافر الأدلة على ان الله تعالى فاعل مختار لايجب عليه فعل شىء ولايتحقق ذلك إلا إذا كان إرسال الرسل جائزاً فى حقه تعالى قال الله تعالى " وربك يخلق مايشاء ويختار " (١)

★خواص النبى عند الفلاسفة :

يرى الفلاسفة أن النبى المحتاج إليه البشر ليشرع لهم القوانين التى تحفظ العدل بين أفراد المجتمع هو الذى تجتمع فيه خواص ثلاث ، لأنهم يرون أن الرسالة ليست بإرسال بل بوجود هذه الخواص وهى :

الخاصية الأولى : أن يكون له اطلاع على الغيبات وهذا أمر ممكن فى رأيهم وذلك لأن نفسه القدسية لصفاء جوهرها تتصل بعقول الأفلاك التى هى المجردات العقلية والمبادىء العالية عندهم وهى منتقشة بصور الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها وعندما تتصل

---

(١) سورة القصص آية ٦٨

نفس النبى الصافية بهذه العقول تنتقش فيها صور الكائنات الماضية والحاضرة والمستقبله فيعرف الغيب وهم يرون أن نفوس الأفلاك هى المدبرة فهى عالمة بكل ماسيكون من أحداث العالم ، ولايعوق النفس الإنسانية عن الإتصال بهذا العالم المجرد إلا إنغماسها فى شهوات البدن ومطالب الجسد فإذا إتخلصت النفس من الإنغماس فى الشهوات إنجذبت الى العالم العلوى فتعرف مافيه ، ونفس النبى لصفاء جوهرها تكون كالمرأة المجلوة التى يجاذى بها شطر هذه الصور المنتقشة فى المجردات العقلية فتنطبع بكل مافيها من معارف وأجبرت بذلك غيرها ممن لم يصل الى هذه الدرجة ٠ (١)

الخاصية الثانية : أن يكون متميزاً بمخيلة قوية تعينه على تخيلات الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة ويستطيع بها أن يدرك كثيراً من الأمور التى تقدم وقوعها بزمان طويل فيخبر عنها وكثيراً من الأمور التى تكون فى الزمان المستقبل فينذر بها ٠ (٢)

وتكون قوة المخيلة بحيث يتمثل للنبى الملائكة فى صورة أشخاص يخاطبون بكلام يكون وحياً يبلغة إلى الناس ٠

الخاصية الثالثة: وهى ظهور خوارق العادات ويعنون بها المعجزات فيقولون فى تفسيرها " إنه لايبعد أن يختص بعض النفوس الإنسانية بقوة هى مبدأ لأفعال غريبة بسبب مالها من الخصوصية الشخصية أو بسبب أمر طارىء عليها من غير إكتساب أو حاصل لها بالإكتساب ٠

---

(١) شرح المقاصد للتفتازانى جـ ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ ، والمواقف للإيجى ص ٣٣٧ ، ابن سينا بين الدين والفلسفه د حمودة غرابه ص ١٣٨ والسمعيات والنبوات د محى الدين الصافى ص ٢٢

(٢) ابن سينا بن الدين والفلسفة ص ١٣٨ بالهامش

فنفس التى تكون من القوة بحيث تطيعها هيولى العناصر والهيولى هى المادة الأولى غير المعينة التى تتكون فيها الجمادات والنباتات والحيوانات وهى التى تقبل الصور المفارقة فيحدث بتوجه نفس النبى إلي هيولى العناصر رياح وحرق وزلازل وغرق وهلاك أشخاص ظالمه وخراب مدن فاسدة وإنفجار المياه من الأحجار بل من أصابع اليد وليس ذلك ببعيد لأن علاقه النفس بالبدن علاقه تدبير وتصرف لاعلاقه حلول وإنطباع وكما تتصرف النفس فى بدنها يجوز أن تتصرف فى الأجسام الأخرى بالتحريك وفى هيولى العناصر حتى كأنها نفس لعالم العناصر فتطيعها فى التحول من شىء إلى شىء ٠ (١)

★نقض تلك الخواص :

أما عن الخاصية الأولى فنرى أن كلام الفلاسفة متناقض إذ كيف تحل المجردات بصور الكائنات المادية ؟ ثم إن هذه الخاصية مبنية على نظرية العقول وهى نظرية خيالية ومنهارة من أساسها ، ثم إنهم يجعلون النبى هو الذى يطلع على صور الكائنات المنتقشة فى عقول الأفلاك والحقيقة أن الله تعالى هو الذى يطلع النبى على ما أراد أن يطلعة عليه من الأمور الغيبية قال تعالى " عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من أرتضى من رسول " (٢) وقد أعلن سيد الأنبياء أنه لاعلم له بالغيب " ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما منى السوء " (٣)

أما عن الخاصية الثانية : يقول صاحب المواقف " ومآل ماذكروه فى هذه الخاصية يرجع إلى تخيل مالا وجود له فى الحقيقة كما للمرضى والمجانين ، ولو كان أحدنا أمراً

---

(١) السمعيات والنبوات ص ٢٣ وابن سينا ص ١٣٨
(٢) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٨

ناهيا من قبل نفسه بما يوافق المصلحة ويلائم العقل لم يكن نبياً بأتفاق من العقلاء فكيف يكون نبياً من كان أمره ونهية يرجع إلى تخيلات لا أصل لها قطعا " (١)

أما عن الخاصية الثالثة : فنرى تفسيرهم للمعجزات على ذلك النحو يجعلها من الأمور المكتسبة التى تستطيعها نفس النبى إذا بلغت من القوة هذه الدرجة بالإكتساب فيجعلون النبى كالمنوم المغناطيسى أو الساحر الذى يفعل أموراً معتادة إذا عرف أسبابها وأيضاً هم يعترفون بأن مادة العناصر مطبعة لغير النبى فلا تكون هذه خاصة له وأيضا هم يجعلون المعجزة من فعل النبى ولكن المعجزه من فعل الله تعالى وليس للنبى فيها إلا أنه طلب حصولها من الله تعالى ٠ (٢)

ويقول الفلاسفة: إنه يجوز فى حق الأشخاص الكاملة الإمساك عن الغذاء مدة طويلة لإنجذاب نفوسهم إلى جناب القدس بالكلية وعدم التفاتها إلى القوى الجسمانية التى بها الهضم والشهوة والتغذية فيجوز أن يمسك النبى عن الغذاء مدة غير معتادة وليس ذلك ببعيد فأن المريض يمسك عن الغذاء مدة طويلة لإشتغال الطبيعة بهضم الأخلاط الفاسدة عن تحليل المواد المحوجة إلى البدل فلا يحتاج المريض إلى البدل مدة طويلة فكذلك الأنبياء والعارفون على حد تعبير الفلاسفة فإن إمتناعهم عن الغذاء مدة طويلة أولى وأقرب لإختصاصهم بأمر يقتضى الإستغناء عن الغذاء بسبب ترك القوى البدنية أفاعيلها لإنشغالها بمتابعة النفس فى الأمور الروحانية ، والفلاسفة بهذا يريدون أن يجعلوا الخوارق من الأمور المعتادة التى لها قانون وسبب ٠ (٣)

---

(١) المواقف فى علم الكلام ص ٣٣٨

(٢) النبوات والسمعيات د محى الدين الصافى ص ٢٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ وابن سينا بين الدين والفلسفة ص ١٤٠ بالهامش

وقد قرر سعد الدين التفتازانى أن ماذهب إليه أولئك الفلاسفة مخالف لما جاء به الدين وعلم منه بالضرورة ، والواقع أن رأيهم هذا مبنى على القول بتجرد النفس الإنسانية وهو قول لم يستطيعوا إثباته بدليل يسلم من النقد كما أنه مبنى على فكرة العقول العشرة والنفوس الفلكية هذه الفكرة الواهية التى هى عبارة عن تلفيق لأفكار الإغريق وغيرهم ولاتعتمد على أى دليل بل هى من نسج الخيال كما أن فى قولهم أن للنبى أمر الرسول بتخيل أشخاصاً يخاطبونه ويسمون ذلك وحياً فى ذلك إهدار لقداسة النبوة وجعلها مبنية علي الوهم والخيال .

كما أنه يفهم من مذهبهم أن النبوة أمر يمكن أن يكتسب إذ النفوس كلها مجرده وصالحه إلى درجة النبوة متى سلكت مسالكها التى حددوها . (١)

★التفاضل بين الانبياء :

هؤلاء الأنبياء ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة بل بعضهم أفضل من بعض فقد جعلهم الله تعالى درجات وفي ذلك يقول القرآن الكريم " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " (٢)

يقول الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية " أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض وعلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل " (٣) ويدل عليه حجج :

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣

(٣) مفاتيح الغيب جـ ٣ ص ٥١٧

الحجة الأولى: قوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " (١) ٠

فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين ٠

الحجة الثانية: قوله تعالى " ورفعنا لك ذكرك " (٢) فقيل فيه لأنه قرن ذكر محمد بذكره في كلمة الشهادة وفي الأذان وفي التشهد ولم يكن سائر الأنبياء كذلك ٠

الحجة الثالثة: أنه تعالى قرن طاعته بطاعته ، فقال سبحانه " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٣) وبيعته ببيعته فقال تعالى " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " (٤) وعزته بعزته فقال " ولله العزة والرسوله " (٥) ورضاه برضاه فقال " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (٦) وأجابته بإجابته فقال " يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول " (٧)

الحجة الرابعة: إن الله تعالى أمر محمداً بأن يتحدى بكل سورة من القرآن فقال " فأتوا بسورة من مثلة " (٨) وأقصر السور سورة الكوثر وهى ثلاث آيات وكأن الله تحداهم بكل ثلاث آيات من القرآن ، ولما كان القرآن ستة آلاف آية وكذا آية لزم أن لا يكون معجز القرآن معجزا واحدا بل يكون ألفى معجزة وأزيد ٠

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧
(٢) سورة الشرح آية ٤
(٣) سورة النساء آية ٨٠
(٤) سورة الفتح آية ١٠
(٥) سورة المنافقون آية ٨
(٦) سورة التوبة آية ٦٢
(٧) الأنفال آية ٢٤
(٨) البقرة آية ٢٣

وإذا ثبت هذا فنقول: إن الله سبحانه ذكر تشريف موسى بتسع آيات بيئات فلأن يحصل التشريف لمحمد بهذه الآيات الكثيرة كان أولى .

الحجة الخامسة: إن معجزات رسولنا صلى الله عليه وسلم أفضل من معجزات سائر الأنبياء فوجب أن يكون رسولنا أفضل من سائر الأنبياء ·

الحجة السادسة: إنه تعالى بعدما حكى أحوال الأنبياء قال " أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده " (١) فأمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بمن قبله فإما أن يقال إنه كان مأموراً بالاقتداء بهم فى أصول الدين وهو غير جائز لأنه تقليد أوفى فروع الدين وهو غير جائز لأن شرعه نسخ سائر الشرائع ، فلم يبق إلا أن يكون المراد محاسن الأخلاق ، فكأنه سبحانه قال : إنا أطلعناك على أحوالهم وسيرهم فأختر أنت منها أجودها وأحسنها وكن مقتدياً بهم فى كلها ، وهذا يقتضى أنه إجتمع فيه من الخصال المرضية ماكان متفرقاً فيهم ، فوجب أن يكون أفضل منهم · (٢) ·

الحجة السابعة: قوله صلى الله عليه وسلم " آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة " (٣) وذلك يدل على أنه أفضل من آدم ومن كل أولاده ، وقال صلى الله عليه وسلم " أناسيد ولد آدم ولافخر " وقال صلى الله عليه وسلم " لايدخل الجنة أحد من النبيين حتى أدخلها أنا ولايدخلها أحد من الأمم حتى تدخلها أمتى " وروى أنس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أول الناس خروجا إذ أبعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى

---

(١) الأنعام آية ٩٠

(٢) التفسير الكبير للرازى جـ ٣ ص ٥١٧ - ٥١٨

(٣) مسند الإمام احمد بن حنبل عن أبى نضرة ص ٢٨١ - ٢٨٢ جـ١ دار صادر

ولافخر " (١) وعن أبى هريره عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع " وعن أبن عباس رضى الله عنهما " أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولافخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها فيدخلها معى فقراء المؤمنين ولافخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولافخر . " (٢)

وقد أشار القاضى عياض فى كتابه " الشفا " إلى منزع لطيف من القرآن الكريم فى أفضلية الرسول على سائر الرسل الكرام وبيان أنه أشرفهم وأفضلهم وذلك لأن الله تعالى قد خاطب الرسل وناداهم بأسمائهم فقال عز من قائل . فى شأن ابراهيم عليه السلام " ياأبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين " (٣) وقال فى حق نوح عليه السلام " يانوح أهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك (٤) وقال فى نداء موسى " ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين " (٥) وقال مخاطبا عيسى بن مريم عليه السلام " وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول

---

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ص ١٧٨٢ جـ ٤ حديث رقم ٢٢٧٨ طبعة الحلبى

(٢) شرح السنه للبغوى كتاب الفضائل باب فضل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله وسلامه عليه ص ٢٠٣ المكتب الإسلامى الطبعة الثانية

(٣) رواه الترمزى كتاب المناقب باب فضل النبى ص ٥٨٧ - ٥٨٨ جـ ٥ طبعة بيروت لبنان العلمية بيروت لبنان

(٤) سورة الصافات آية ١٠٤ - ١٠٥

(٥) هو آية ٤٨

ماليس لى بحق .... " (١) .

وهكذا بقية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ناداهم بأسمائهم التى سموا بها إلا خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم فقد خاطبه الله تعالى بوصف النبوة أو الرسالة إظهاراً لعظيم قدره وجلال فضله فقال عز من قائل " ياأيها النبى إنا أرسالناك شاهدا ومبشراً ونذيراً ." (٢) وقال تبارك وتعالى " يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " (٣) ولانجد فى كتاب الله آية فيها خطاب للنبى صلى الله عليه بأسمه الصريح مثل ماجاء فى خطاب الأنبياء وإنما كل الآيات الكريمة تخاطبة بلفظ النبوة وليس فى الآيات الكريمة آية واحدة تقول يامحمد .. وهذا من ألطف الإشارات إلى عظيم قدره صلى الله عليه وسلم والى أنه أفضل الرسل على الإطلاق . (٤) .

واذا تقرر من دليل القرآن والأحاديث الثابته وإجماع الأمة كونه صلى الله عليه وسلم أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهية عن التفضيل ؟ وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم " لاتخيروا بين الأنبياء " وقوله " لاتفضلوا بين الأنبياء " وقوله " ماينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى " أى لاتقولوا فلان خير من فلان . ولافلان أفضل من فلان .

وقد ذكر القاضى عياض والأمام القرطبى أن للعلماء فى هذه الأحاديث التى رواها الأئمة الثقات تأويلات !

---

(١) سورة المائدة آية ١١٦

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٤

(٣) سورة الأنفال آية ٦٤

(٤) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض جـ ١ ص ٤٥ - ٤٦

أحدها : أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل .

ثانيها : أنه قال " لاتخيروني على موسى " على طريق التواضع ، كما قال أبو بكر وليتكم ولست بخيركم ، وكذلك معنى قوله لايقل أحد أنا خير من يونس بن متى على معنى التواضع . وفي قوله تعالى " ولاتكن كصاحب الحوت " (١) مايدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، لأن الله تعالى يقول ولاتكن مثله فدل على أن قوله " ولاتفضلوني عليه " من طريق التواضع .

ثالثها : إنما نهى عن الخوض في ذلك ، لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال ، وذلك يؤدي إلى أن يذكر منهم مالاينبغي أن يذكر ويقل أحترامهم عند المماراة فلا يقال النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولامن فلان ولاخير ، ولما يتوهم من النقص في المفصول .

رابعها : أن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة والرسالة فأن الأنبياء فيها على حد واحد إذهي شيء واحد لايتفاضل وإنماالتفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف والمعجزات المتباينات ، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور زائدة عليها ، ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم ومنهم من رفع مكانا عليا ، ومنهم من أوتي الحكمه صبياً ومنهم من أتخذ خليلا ، ومنهم من كلمه الله ورفع بعضهم درجات قال تعالى " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوا "(٢) وقال تعالى " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض " (٣) .

---

(١) سورة القلم آية ٤٨

(٢) سورة الأسراء آية ٥٥

(٣) البقرة ٢٥٣

ثم قال القرطبى " وهذا قول حسن ، فإنه جمع بين الآى والأحاديث من غير نسخ ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل " وقد أشار ابن عباس إلى هذا قال : إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا بم يابن عباس فضله على أهل السماء ؟ فقال ان الله تعالى قال " ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين " (١) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم " إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر " (٢) قالوا فما فضله على الأنبياء ؟ قال قال الله تعالى " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " (٣) وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم " وما أرسلناك إلا كافة للناس " (٤) فأرسله إلى الجن والإنس ٠ (٥)

★شروط النبوة :

أولا : البشرية : فليس هناك نبى أو رسول من الجن أو الملائكة وهذا هو مذهب جمهور العلماد ، وذهب البعض من العلماء وعلى رأسهم الضحاك إن الجن كانت لهم رسل منهم ويستدلون على ذلك بقوله تعالى " يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا " (٦) قال الأمام الرازى عند تفسيره لتلك الآية "

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٩

(٢) سورة الفتح آية ١ ، ٢

(٣) سورة إبراهيم آية ٤

(٤) سورة سبأ آية ٢٨

(٥) الشفا للقاضى عياض ص ١٧٢ جـ ١ ص ٢٢٦- ٢٢٧، وتفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ١١٨٥- ١١٨٧

(٦) سورة الأنعام آية ١٣٠

أختلف العلماء هل كان من الجن رسول أم لا ؟ فقال الضحاك : أرسل من الجن رسل كالانس ، وتلا هذه الآية " وإن من أمة إلا خلافيها نذير " (١)

وذهب الأكثرون من العلماء أنه ماكان من الجن رسول البته وإنما كان الرسل من الأنس ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى " أن الله أصطفى آدم ونوحاً وآل أبراهيم وآل عمران على العامين " (٢) واجمعوا على أن المراد بهذا الإصطفاء إنما هو النبوة فوجب كون النبوة مخصوصة بهؤلاء القوم فقط . " (٣)

ثم بين الرازى أن تمسك الضحاك بظاهر هذه الآية مردود من وجوه :

الوجه الأول: أنه تعالى قال " يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم " فهذا يقتضى أن رسل الجن والإنس تكون بعضاً من أبعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضا من أبعاض ذلك المجموع فكان هذا القدر كافياً فى حمل اللفظ على ظاهرة فلم يلزم من ظاهر هذه الآية إثبات رسول من الجن .

الوجة الثانى: لايبعد إن يقال إن الرسل كانوا من الإنس إلا أنه تعالى كان يلقى الداعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل ويأتوا قومهم من الجن ويخبرونهم بما سمعوه من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى " وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن ... " (٤) وأولئك الجن كانوا رسل الرسل فكانوا رسلا لله تعالى .

الوجة الثالث: فى الجواب قال الواحدى : قولة " رسل منكم " أراد أحدكم وهو الإنس

---

(١) فاطر ٢٤

(٢) آل عمران ٣٣

(٣) تفسير الرازى المجلد السادس جـ ١٢ ص ٥٧٩

(٤) الأحقاف : آية ٢٩

وهو كقوله تعالى " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " (١) أى من أحدهما وهو الملح الذى ليس بعذب " (٢) فكذلك الرسل من الإنس دون الجن . (٣)

ويستدل الأكثرون أيضا على أن النبوة والرسالة مقصورة على البشر فقط بقوله تعالى "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم "(٤) فيذكر الرازى أن عادة الله تعالى من أول زمان الخلق والتكليف أنه لم يبعث رسولا إلا من البشر فهذه العادة مستمرة لله سبحانه وتعالى .(٥) فمن شرط الرسول أن يكون رجلا آدميا مدنيا وإنما قالوا آدميا تحرزا من قوله تعالى " وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . " (٦)

والحكمة فى كون الرسول بشراً : أمور : أحدها : إن الجنس إلى الجنس أميل ، ثانيها : إن البشر لاتطيق رؤية الملك ، ثالثها : إن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لايعذرونهم فى الاقدام على المعاصى . رابعها : أن النبوة فضل من الله فينختص بها من يشاء من عبادة . سواء كان ملكا أو بشراً . (٧)

وأيضا فقد كان الرسل من البشر حتى يمكن الإجتماع بهم والأخذ عنهم لأنهم لو كانوا من الملائكة لما أستطاع البشر أن يأخذوا عنهم أو يجتمعوا بهم ، ولكان للناس حجة فى عدم الأتباع للرسل وهو أن يقولوا هؤلاء الذين بعثهم الله إلينا وأمرنا باتباعهم

---

(١) الرحمن آية ٢٢

(٢) تفسير الرازى جـ ١٢ ص ٥٨٠ المجلد السادس

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٢٦٠٦- ٢٦٠٧

(٤) سورة النحل الآية ٤٣

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازى جـ ٨ ص ٥٣٠ م ٩

(٦) سورة الجن آية ٦

(٧) تفسير الرازى م ٦ جـ ١١ ص ٢٣٣

ليسوا من جنسنا ليسوا بشرا إنما هم ملائكة ، وطبيعتنا تختلف عن طبيعتهم ، فهم أسمى منا خلقا وأطهر منا عملاً وأكرم مقاماً ، ثم إنهم لايأكلون ولايشربون ، وليس فيهم شهوة أو ميل إلى المعصية لأنهم عباد مكرمون . (١)

وقد قال الله تعالى فى معرض الرد على المشركين عندما طلبوا أن يكون الرسول ملكا " ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون . " (٢) يقول القرطبى " إنهم لايستطيعون رؤية الملك فى صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة لأن كل جنس يأنس بجنسة وينفر من غير جنسه ، فلو جعل الله الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته ، ولما أنسوا به ولداخلهم من الرعب من كلامه والإتقاء له مايكفهم عن كلامه ويمنعهم عن سؤاله ، فلا تعم المصلحة ، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا لست ملكا إنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم ، حيث كانوا يقولون عن محمد إنه بشر وليس بينه وبينكم فرق فليلبسون على الناس بهذا ويشككونهم فأعلمهم الله عز وجل أنه لو أنزل ملكا فى صورة رجل لوجدوا سبيلا إلى اللبس كما يفعلون . " (٣)

وهذا يعنى أنه يجب أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم حتى يسهل أتصاله بهم تحقيقا للغاية من الرسالة وهى تبليغ الوحى وهداية الناس ، وهذه الغاية لاتتحقق إلا بالتجانس التام بين الرسول وقومه حتى يتم الإفهام والتلقى ويمكن الاقتداء والتأسى .

---

(١) النبوة والأنبياء للصابونى ص ١٩

(٢) سورة الأنعام آية ٩

(٣) تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٢٤٧٩ - ٢٤٨٠

الشرط الثانى: الذكورة هى الشرط الثانى من شروط النبوة وقد أختلف العلماء فى نبوة النساء ، فذهب فريق إلى أنه لايجوز أن تكون نبوة فى النساء واستدلوا على ذلك بقوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم . " (١) فالآية تدل على أن الله تعالى مابعث رسولاً إلى الخلق من النسوان . (٢) وذلك لأن الرسل يتعرضون للكثير من الشدائد والأزمات التى لايقوى على تحملها إلا أولو العزم من الرجال كما أن المرأة بطبيعتها لاتصلح للقيادة والزعامة ولاينقاد إليها الرجال بسهولة .

يقول الحافظ أبن كثير عند تفسيره للآيه السابقة " يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لامن النساء ، وهذا هو قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله لم يوح إلى إمرأة من بنات بنى آدم وحى تشريع . " (٣) ثم يقول " والذى عليه أهل السنة والجماعة وهو الذى نقله الشيخ أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى عنهم أنه ليس فى النساء نبية وإنما فيهن صديقات . " (٤)

وذهب فريق آخر إلى أنه يجوز أن يكون فى النساء نبوة . يقول ابن كثير " وزعم بعضهم أن سارة أمرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، وبقوله " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . " (٥) وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها بعيسى وبقوله تعالى " واذ

---

(١) يوسف آية ١٠٩

(٢) تفسير الرازى جـ ١٧ ص ١٧٠ المجلد التاسع

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٤٩٦ لابن كثير

(٤) المصدر السابق ص ٤٩٦ جـ ٢

(٥) القصص آية ٧

قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . " (١) وقد استدل على نبوة آسية امرأة فرعون ومريم بالحديث الذى رواه مسلم عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الأطعمة . "

قالوا إن حصر الكمال فيهما يدل على نبوتهما لأن أكمل النوع الأنسانى الأنبياء ثم يليهم الأولياء والشهداء والصالحين . (٢)

وقال القرطبى " والصحيح أن مريم نبية لأن الله تعالى أوحى اليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين وأما آسية فلم يرد مايدل على نبوتها دلالة واضحة بل على صديقيتها وفضلها . (٣) ويبدوا أنه لم يفهم من الحديث المتقدم أنه يدل على نبوة آسية مع أن اقترانها فى الحديث بمريم يدل على إشتراكهما فى الخصوصية فيثبت لها ماثبت لمريم ، فما الداعى الى التفرقه بينهما . ؟

اما ابن حزم فقد فصل القول فى هذه المسألة ورد على المانعين من نبوة النساء قائلا "

إن الآية وردت فى نفى الرسالة عن النساء لافى نفى النبوة وأوضح أن لفظة النبوة فى اللغة العربية التى أنزل الله بها القرآن مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام ، فمن علمه الله بما يكون بوحى أو بملك فهو نبى بلا شك وليس هذا من باب الإلهام الطبيعى كوحى الله إلى النحل ولا من باب الظن والتخمين كوحى الشياطين إلى الناس بل الوحى الذى

---

(١) سورة آل عمران الأتيان ٤٢ ، ٤٣
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ١٤٣٢
(٣) تفسير القرطبى ص ١٤٣٢ – ١٤٣٣ جـ ٢

قصد الله به إعلام من يوحى إليه بما يعلمه ليعمل به ، وقد جاء فى القرآن أن الله أرسل ملائكة الى عدد من النساء فأخبرتهن بوحى من الله على مثل مايوحى الله إلى سائر الأنبياء والمرسلين من الرجال ، وذكر ابن حزم سارة أم اسحاق وام موسى ومريم ام عيسى كأمثلة لذلك . " (١)

والذى تختاره ونرجحه ماذهب إليه الجمهور من أن النبوة كالرسالة كلتاهما مقصورة على الرجال دون النساء بدليل عموم الآية "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم " وقوله تعالى " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه . " (٢) فذكر أن غاية ما انتهت إليه مريم رتبة الصديقية ، وهى دون مرتبة النبوة واذا انتفت النبوة عن مريم مع تكليم الملك لها انتفت عن غيرها من النساء من باب أولى .

وأما الحديث الذى استندوا إليه " لم يكمل من النساء إلا آسية ... الخ . فإنه غير قاطع فى أن المراد بالكمال النبوة فإن الكمال فى كل شىء يحسبه فالكمال فى جنس الرجال يكون بالنبوة والكمال فى جنس النساء يكون بالصديقية وبهذا يمكن المجمع بين الأدلة .

ثالثا : الحرية : أما الحرية فهى أيضا شرط فى الرسالة وهى أن يكون الرسل ذوى حسب ونسب من قومهم ، وذلك مأخوذ من قولهم " ياصالح قد كنت فينا مرجوا

---

(١) الفصل جـ ٥ ص ١٢ – ١٣ وفلسفة النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن والسنه ص ١٤٦ – ١٤٧ تأليف آدم عبدالله الألورى

(٢) المائدة آية ٧٥

قبل هذا " (١) ومن قولهم لشعيب " ولولا رهطك لرجمناك " (٢) ومن الحديث القائل " مابعث الله نبيا إلا فى منعة من قومه » ومن قول هرقل لأبى سفيان « والرسل تبعث فى أحساب قومها » وبهذة لأدلة نتبين أن الرسول يبعث من السادة ولم يرسل الله نبيا ولارسولا من الرقيق لأن العبد الرقيق لايملك حرية التصرف وهو خاضع فى كل أموره لسيده وهذا يحول بينه وبين القيام بأعباء النبوة وتبعات الرسالة .

رابعا : السلامة من المنفردات :

وذلك لأن من شأن الرسول أن يكون مستقيم الخلقة والخلق فلايكون منفرا من الناحية الخلقية كأن يكون قبيحا أو مريضا مرضاً معدياً منفراً ولايكون منفرا من الناحية الخلقية بأن يتصف بحميد الخصال وجميل الصفات ولأفعال فلا يكون فظا ولاغليظا « ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . (٣) يقول شارح المقاصد « ويشترط فى النبى السلامة عن كل ماينفر عنه كزنا الأباء ، وعهر الأمهات ، والغلظة والفظاظة والعيوب المنفرة كالبرص والجذام ونحو ذلك والأمور المخلة بالمروءة كالأكل على الطريق والحرف الدنيئة كالحجامة وكل مايخل بحكم البعثة من أداء الشرائع ونحو ذلك . (٤) »

مايحب للرسل من الصفات كما ورد فى القرآن الكريم :

رسل الله تعالى هم المصطفون الأخيار الذين اجتباهم الله للسفارة بينه وبين خلقه وجعلهم هداة للبشر ومرشدين إلى مافيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة

---

(١) هود آية ٦٢

(٢) هود آية ٩١

(٣) آل عمران آية ١٥٩

(٤) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٦ سعد الدين التفتازانى

وبذلك اقتضت حكمته سبحانه أن يجعلهم أكمل الناس خلقا وأفضلهم علماً واشرفهم نسباً وأعظمهم أمانة ، ويربيهم على عينه كما قال عز من قائل مخاطبا سيد الرسل الكرام « فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا » (١) وكما قال لموسى «ولتصنع على عينى» (٢)

واذا تتبعنا القرآن الكريم واستعرضنا آياته الكريمة التى تتحدث عن النبوة والأنبياء نجد فيها الذكر العاطر والثناء المجيد لهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة واصطفاهم لحمل الرساله ، واختارهم من بين سائر الخلق ليكونوا مشعل الهداية والاصلاح ونرى أسلوب القرآن فى الحديث عنهم أسلوبا يتدفق بالحياة ويفيض بالبشر كل ذلك ليدل على أنهم الصفوة المختارة من الله والمثل العليا الكاملة للبشرية .

قال الله تعالى « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات ... » (٣)

وقال « واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا » (٤)

وقال عن كليم الله موسى « قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين » (٥) وقال عز وجل عن نبيه اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام « واذكر فى الكتاب اسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهلة بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا . » (٦) ثم استمع الى ذلك الثناء

---

(١) سورة آية

(٢) سورة طة آية ٣٩

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٣

(٤) سورة مريم آية ٤١

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٤

(٦) سورة مريم آية ٥٤

العاطر الذى وصف به القرآن الكريم جماعة من الأنبياء الكرام حيث يقول « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ، واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار» (١)

وهكذا نجد القرآن العظيم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام ، يصفهم بأسمى الصفات العالية ، وينعتهم بأكمل الأوصاف ، وتظهر من خلال سطوره معالم الحب والتكريم والإصطفاء والإجتباء ، فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة ، وأخرى بالتضحية والإيثار ، ويذكرهم فى بعض المواطن بالصدق والنزاهة فكل ذلك ليشر إلى علو شأنهم ، ورفعة مكانتهم وسمو الرسالة التى بعثوا من أجلها فكانوا هداة العالم وقادة البشرية . (٢)

الواجب للرسل تفصيلا ودليله :

ماذكرناه من معالم الخير وصفات الكمال وسمات الفضل والسؤدد مما يجب للرسل اجمالاً : أما الواجب لهم تفصيلا فأربع صفات وهى الصدق والأمانة والتبليغ والفطانه ، وإنما خصصت هذه الصفات الأربع بالذكر لأنها أصول الفضائل واليها تعود سائر صفات الكمال :

أولاً : الصدق :

وهو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب إعتقادهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم «كل ذلك لم يكن كما قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله ؟ حين سلم

---

(١) سورة ص الايات ٤٥، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨

(٢) النبوة والأنبياء للصابونى ص ٤٠

من ركعتين (١)

وقال المتكلمون : إن الصدق ثلاثة أقسام :الصدق فى دعوى الرسالة والصدق فى الأحكام التى يبلغونها عن الله تعالى والصدق فى الكلام المتعلق بأمو الدنيا ، كقام زيد ، وقعد عمرو وأكلت وشربت . (٢)

فالرسول فى دعوى الرسالة أى فى قوله أرسلنى اليكم لابد وأن يكون صادقاً وأن يكون هذا الصدق مطابقا للواقع فى نفس الأمر وكذلك الصدق فى الأحكام الشرعية التى يبلغها عن الله تعالى ، لابد وأن يكون الخبر مطابقا للواقع فى نفس الأمر .

أما الصدق فى أمور الحياة فقد يكون بحسب الإعتقاد كحديث ذى اليدين ، وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لم أنس ولم أقصر » ثم تبين أنه نسى .

وكذا حديث تأبير النخل حين مر الرسول صلى الله عليه وسلم على قوم يؤبرون النخل وقال لهم لو تركتموها لصلحت فتركوها فشاصت أصيب بأن هذا من قبيل الإنشاء لأن المعنى كان فى رجاء ذلك . ،الإنشاء لايتصف بصدق ولاكذب وعدم وقوع المرتجى لايعد نقصا . (٣)

الأدلة على الاتصاف بالصدق من النقل والعقل :

أما الدليل النقلى فقولة تعالى « وصدق الله ورســوله » (٤) وقوله « وما ينطق عن

---

(١) شرح البيجورى على الجوهره ص ١٤٣
(٢) حاشية البيجورى على متن السنوسية ص ٣٣ - ٣٤
(٣) شرح البيجورى على الجوهرى ص ١٤٣
(٤) الأحزاب آية ٢٢

الهوى » (١) وقوله « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٢)

أما الدليل العقلى على صدق الرسل فهو أن الله تعالى صدقهم بالمعجزات وكأنه تعالى يقول « صدق عبدى فيما يبلغ عنى ، ولوجاز عليهم كذب ماصدقهم الله لأن تصديق من يجوز عليه الكذب كذب والكذب محال على الله ، فاستحال عليهم الكذب ووجب لهم الصدق . (٣)

ثانيا : الأمانة :

وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى ، فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن . (٤)

والدليل على وجوب الأمانة: أن الله تعالى أمرنا باتباعهم ، ولوجازت عليهم خيانة بفعل منهى عنه أو بترك مأمور به ما أمرنا الله باتباعهم لأن الله لايأمر باتباع الخائنين فاستحالت عليهم الخيانة ووجبت لهم الأمانة (٥) قال تعالى « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » وقال « انى لكم رسول أمين »

وقال « إن الله لايهدى كيد الخائنين »

---

(١) النجم آية ٣٠
(٢) الحاقة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
(٣) توضيح العقيدة المفيد فى علم التوحيد ص ٢٧ جـ ٢ لسيدى أحمد الدردير
(٤) شرح البيجورى ص ١٤٢
(٥) توضيح العقيدة ص ٢٧

ثالثا : التبليغ :

هو إيصال الرسل جميع ما أمرهم الله بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم ، فيجب الإيمان بأنهم بلغوا ماأمروا بتبليغة ، ودليل وجوب التبليغ للرسل أن كتمان شىء مما أمروا بتبليغة خيانه ومضيع لفائدة الرسالة ، والخيانة مستحيلة عليهم ، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ . (١)

قال تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته . » (٢)

رابعاً : الفطانة :

وهى ذكاء العقل وحدته وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة ، والدليل على وجوب الفطانة أنهم أرسلوا للأرشاد بالأدلة وقامة الحجج لأثبات ماجاء وابه وابطال شبه المنكرين ، ولايكون ذلك إلا بالفطانة فلو لم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج ، وكان ارسالهم عبثا والعبث محال عليه تعالى : فاستحالت عليهم البلادة ووجبت لهم الفطانة . (٣)

قال تعالى « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » (٤)

شبة المنكرين للنبوة :

وبالرغم من وضوح الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فى إثبات النبوة إلا أن هناك

---

(١) توضيح العقيدة ص ٢٧

(٢) سورة المائدة آية ٦٧

(٣) توضيح العقيدة ص ٢٨

(٤) سورة الأنعام آية ٨٣

أناساً جاحدون منكرون للنبوة والرسالة مسمسكين بحجج واهية لاتقوى أمام النقد ٠

الشبهة الأولى : الجبر : فنجد الرازى عند تفسير قوله تعالى « وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » (١)

يذكر أن هذه شبهة من شبهه منكرى النبوة وتقريرها : أنهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن فى النبوة فقالوا : لوشاء الله الإيمان لحصل الإيمان سواء جئت أو لم تجىء ، ولوشاء الله الكفر فإنه يحصل الكفر سواء جئت أو لم تجىء ، وإذا كان الأمر كذلك فالكل من الله تعالى ، ولافائدة فى مجيئك وإرسالك فكان القول بالنبوة باطلا . (٢)

ثم ذكر الرازى الجواب عن هذه الشبهة فقال « إنهم قالوا لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الأنبياء عبثا ، فنقول هذا اعتراض على الله تعالى فإن قولهم إذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فائدة فى حصول الأيمان ودفع الكفر كانت بعثة الأنبياء غير جائزة من الله ، فهذا القول جار مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى أفعاله وذلك باطل ، بل لله تعالى أن يحكم فى ملكه وملكوته مايشاء ويفعل مايريد ، ولايجوز أن يقال له لم فعلت هذا ولم لم تفعل ذلك ؟ والدليل على أن الإنكار إنما توجه إلى هذا المعنى أنه تعالى صرح فى هذه الآية بهذا المعنى فقال « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . » (٣) فبين تعالى أن سننه فى عبيده إرسال الرسل إليهم ، وأمرهم بعبادة الله

---

(١) سورة النحل آية ٣٥

(٢) تفسير الرازى جـ ٢٠ ص ٢٧

(٣) سورة النحل آية ٣٦

ونهيهم عن عبادة الطاغوت . » (١)

الشبهة الثانية : أنزال الملك : كما نجده عند تفسير قوله تعالى « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ، ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون . » (٢)

يقول « ان هذا النوع من شبه منكرى النبوات ، فأنهم يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب أن يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكه فإنهم إذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم ، وامتيازهم عن الخلق أكمل ، والشبهات والشكوك فى نبوتهم وإرسالهم أقل والحكيم إذا إراد تحصيل مهم فكل شىء كان أشد افضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى ، فلما كان وقوع الشبهات فى نبوة الملائكة أقل وجب لو بعث الله رسولا إلى الخلق أن يكون ذلك الرسول من الملائكة هذا هو المراد من قوله تعالى « وقالوا لولا أنزل عليه ملك . » (٣)

__الجواب عن هذه الشبهة :__ ثم يرد الرازى على هذة الشبهة بقوله « إنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجهين :

__أما الأول :__ فقوله « ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ، ومعنى القضاء الإلزام والإتمام ثم هنا وجوه :

__الأول :__ إن انزال الملك على البشرية أية باهرة ، فتقدير انزال الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا كما قال « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٠ ص ٢٨

(٢) سورة الأنعام الآيتان ٨ ، ٩

(٣) تفسير الرازى

شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ... » (١) وإذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الأستئصال فإن سنة الله جارية بأن عند ظهور الآية الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الأستئصال . لذلك لم ينزل الله تعالى الملك لئلا يستحقوا هذا العذاب .

والوجه الثاني: أنهم إذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ولذلك كانت الملائكة تأتى الأنبياء فى صورة الأنس كما جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحيه الكلبى وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام فى صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ، ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته التى خلق عليهما صعق لذلك وغشى عليه .

والوجة الثالث : إن انزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلجاء وإزالة الأختيار وذلك مخل بصحة التكليف .

وأما الوجه الثاني : فقوله « ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا ... » أى لجعلناه فى صورة البشر والحكمة فيه أمور :

احدهما: أن الجنس الى الجنس أميل .

وثانيها: أن البشر لاتطيق رؤية الملك .

وثالثها: أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لايعذرونهم فى الأقدام على المعاصى .

---

(١) سورة الأنعام آية ١١١

ورابعها: أن النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من عبادة سواء كان ملكا أ بشراً . (١)

الشبهة الثالثة: شبهة البراهمة : وكذلك نرى الألوسى عند تفسير قوله تعالى « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادة » (٢) يبين أن البراهمة أنكروا النبوات واستدلوا على ذلك بأن العقل كاف فيما ينبغى أن يستعمله المكلف فيأتى بالحسن ويجتنب القبيح ويحتاط فى المشتبه بفعل أو ترك ، فالأنبياء عليهم السلام إما أن يأتوا بما يوافق العقل فلا حاجة معه إليهم أو بما يخالفه فلا التفات اليهم . (٣)

وقد أجاب الآلوسى فى تفسيره عن هذه الشبهة قائلا « إن هذا مبنى على القول بالحسن والقبح العقليين ، وقد رفعت الاقلام وجفت الصحف وتم الأمر فى إبطاله ، وعلى تقدير تسليمة لانسلم أن العقل يستقل بجميع ماينبغى ، ولانسلم أيضا أنهم أن جاءوا بما يوافق العقل فلا حاجة إليهم لجواز أن يعرفوا المكلف بعض مايخفى عليه مما ينبغى له أو يؤكدوا حكمه ودليلان أقوى من دليل ، ولانسلم أيضا أنهم إن جاءوا بما يخالف العقل لايلتفت إليهم لجواز أن يخالفوه فيما خفى عليه على أن ذلك فرض محال لإجماع الناس على أن الشرع لايأتى بخلاف العقل فى نفس الأمر وإنما يأتى بما يقصر عن ادراكه بنفسه كوجوب صوم آخر يوم من رمضان ، وحرمة صوم أول يوم من شوال » (٤)

---

(١) تفسير الرازى جـ١٢ ص ١٧١ وتفسير ابى السعود جـ ٣ ص ١١٢- ١١٣ وتفسير النسفى جـ٢ ص ٥ بهامش الخازن

(٢) سورة النحل آية ٢

(٣) روح المعانى جـ ١٤ ص ٩٤

(٤) المصدر السابق جـ ١٤ ص ٩٤

كما نرى امام الحرمين الجويني يذكر نفس الشبهة قائلاً « لو قدرنا ورود نبى لم يخل ماجاء به من أن يكون مستدركا بقضية العقل أولا يكون مستدركا بها فأن كان ماجاء به مما يوصل العقل اليه فلا فائدة فى ابتعاثه ومايخلو عن غرض صحيح عبث وسفه وإن كان ماجاء به مما لايدل عليه العقول فلا يتلقى بالقبول فأنما المقبول مدلول العقول . (١)

ثم يقول فى الإجابة عن هذه الشبهة : لم زعمتم أن ماجاء به الرسول إذا لم يكن مما يدل عليه العقل كان باطلا ؟ وبم تنكرون على من يزعم أن ذلك يجرى مجرى مالوتقدم عليل إلى طبيب يسائله عما يصلح له فهو على الجملة يعلم أن المبتغى مايشفيه ، ولكن لايتعين له مافيه شفاؤه والطبيب ينص له على مايشفيه وكذلك المبعوث إليهم لايتعين لهم قبل البعثة مايصلحهم مما يبتعث الرسول فيه ، فاذا أرسل رسول نص لهم على مايصلحهم وأوضح لهم مناهج مقاصدهم . (٢)

ثم يبين الإمام الغزالى أن هذه الشبهة ضعيفة لأن النبى صلى الله عليه وسلم يرد مخبراً بما لاتشتغل العقول بمعرفته ولكن تستقل بفهمه إذا عرف فإن العقل لايرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد ولايفرق بين المشقى والمسعد كما لايستقل بدرك خواص الأدوية والعقاقير ولكنه إذا عرف فهم وصدق وانتفع بالسماع فيجتنب الهلاك ويقصد المسعد كما ينتفع بقول الطبيب فى معرفة الداء والدواء ثم كما يعرف صدق الطبيب بقرائن الأحوال وأمور أخر فكذلك يستدل على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بمعجزات وقرائن حالات فلا فرق . (٣)

---

(١) الإرشاد ص ٣٠٣

(٢) المصدر - السابق ص ٣٠٣ - ٣٠٤

(٣) الأقتصاد فى الأعتقاد ص ١٦٤ - ١٦٥

الشبهة الرابعة: ذكر صاحب المقاصد أن من شبه منكرى النبوة قولهم « إن البعثة تتوقف على علم المبعوث بأن الباعث هو الله تعالى ولاسبيل إلى ذلك ... » (١) والرد على هذه الشبهة فى غاية البساطة واليسر وذلك لأن الله تعالى لايعجز عن أن يعرف المبعوث بأن باعثه هو الله تعالى إما بنصب دليل له يعلم منه ذلك ، وإما أن يخلق فيه علماً ضروريا بأن الباعث هو الله تعالى . (٢)

الشبهة الخامسة : كما يذكر التفتازانى أن من شبههم قولهم « إن البعثة تقوم على التكليف وهو عبث لايليق بالحكيم لأنه لافائدة فيه للعبد فهو مضرة ناجزة وتعب ومشقة ظاهرة ، ولافائدة فيه للمعبود لأنه لاينتفع بشىء من أعمال العبد ، ثم أن التكليف شغل للقلب عن الإستغراق فى معرفة المعبود والفناء فى عظمته . » (٣)

والجواب عن هذه الشبهة : إن مضار التكليف ومشاقه قليلة جداً بالنسبة إلى منافعه الدنيوية والأخروية كما هو معلوم لدى الواقفين على ظواهر الشريعة فضلا عن الكاشفين عن أسرارها الخفية وعند التأمل فالتكليف موصول إلى الإستغراق مع معرفة المعبود لاشاغل عنه على ماتوهم هؤلاء . (٤)

وهكذا نرى هؤلاء العلماء قد ذكروا بعضا من شبه المنكرين للنبوة وردوا عليها بكل قوة بما يدحضها ويبطلها بما لايدع مجالا للشك .

وأيضا فإن اثبات نبوة الأنبياء بالمعجزات فيه أفحام لهؤلاء ودحض لمزاعمهم الفاسدة.

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٢٩ للتفتازانى

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٩

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٩

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٢٩

الفصل الثالث

عصمة الأنبياء :-

والعصمة في اللغة : معناها المنع . يقال عصمه الطعام أى منعه من تناوله (١) والعصم الإمساك ، والإعتصام الإستمساك .

وعصمة الأنبياء حفظ الله تعالى إياهم بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم به من الفضائل النفسية والجسمية . ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ، ثم بإنزال السكينة عليهم ، ويحفظ قلوبهم بالتوفيق . (٢)

وفى اصطلاح المتكلمين : هو أن يخلق الله فى المكلف الذنب مع بقاء قدرته واختياره .

وهو معنى قولهم : هو لطف من الله تعالى بالعبد يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الإختيار تحقيقاً للإبتلاء . (٣)

وقال صاحب المواقف « والعصمة عندنا هى أن لايخلق **الله** فيهم ذنباً . » (٤) وهذا بناء على أصلنا من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل المختار ابتداء .

وجوب عصمة الأنبياء :

اتفق المسلمون على أن الأنبياء معصومون عن الكبائر وعن كل رذيلة فيها شين ونقص

---

(١) لسان العرب جـ٤ ص ٢٩٧٦ ، ومختار الصحاح ص ٤٣٧ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٣٧ للراغب لاصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى دار المعرفه بيروت لبنان وأنظر بصائر ذوى التمييز فى الطائف الكتاب العزيز جـ ٤ ص ٧٢-٧٣ . تأليف محمد بن يعقوب الفيروزبادى تحقيق الأستاذ محمد على النجار المكتبه العلمية بيروت لبنان .

(٣) د. محى الدين الصافى : النبوات والسمعيات ص ٧٠ .

(٤) المواقف جـ ٨ ص ٢٨٠ .

واختلفوا هل وقع عنهم صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا ؟

وقد ذكر الإمام القرطبى هذا الإختلاف وذلك عند تفسير قوله تعالى « وقلنا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكون من الظالمين . » (١)

فقال « قال الطبرى وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع الصغائر منهم ؛ خلافاً للرافضة حيث قالوا : إنهم معصومون من جميع ذلك ؛ واحتجوا بما وقع من ذلك فى التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك فى الحديث ، وهذا ظاهر لاخفاء فيه . وقال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها ؛ لأنا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة ؛ فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم ؛ إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر أو المعصية ، ولايصيح أن يؤمر المرء بإمتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين .. وقال بعض المتأخرين الذى ينبغى أن يقال إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها ؛ وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا ، وكل ذلك ورد فى مواضع كثيرة لايقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها ؛ وكل ذلك مما لايزرى بمناصبهم ؛ وإنما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور ، وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك ، فهى

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥

بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفى حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم .. (١)

ثم قال القرطبى بعد ذلك : وهذا هو الحق . ولقد أحسن الجنيد حيث قال « حسنات الأبرار سيئات المقربين » فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولاقدح فى رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم ، واصطفاهم . صلوات الله عليهم وسلامه . » (٢)

وهكذا نرى الإمام اقرطبى قد قرر وجوب عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر ، وبين أن الذنوب التى وقعت من بعضهم على سبيل الخطأ أو النسيان ، إنما هى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقد عبر عن ذلك الشهر ستانى قائلا « إن الأنبياء معصومون عن الصغائر عصمتهم عن الكبائر ، فإن الصغائر إذا توالت صارت بالإتفاق كبائر وما أسكر كثيرة فقليله حرام ، لكن المجوز عليهم عقلاً وشرعاً مثل ترك الأولى من الأمرين المتقابلين جوازاً وجوازاً وخطر اوخطرا ، ولكن التشديد عليهم فى ذلك القدر يوازى التشديد على غيرهم فى كبائر الأمور وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، وتحت كل زلة يجرى عليهم سر عظيم فلا تلتفت إلى ظواهر الأحوال وانظر إلى سر المآل . » (٣)

وهل العصمة قبل النبوة أو بعدها ؟

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٥١ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٥١ – ٣٥٢

(٣) الشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٤٤٥

ذكر الإمام الرازى عند تفسير قولة تعالى « فأزلهما الشيطان عنها ... » (١) اختلاف العلماء فى وقت عصمة الأنبياء عليهم السلام فقال « وأختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة أقوال : ***أحدها*** قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضة .

وثانيها : قول من ذهب إلى أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو قول كثير من المعتزلة .

وثالثها: قول من ذهب إلى أن ذلك لايجوز وقت النبوة أما قبل النبوة فجائز وهو قول أكثر أصحابنا وقول أبى الهزيل وأبى على من المعتزلة . (٢)

ثم بين الرازى أن القول المختار أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة مدللاً على ذلك بوجوه :

أحدها : أنه لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة وذلك غير جائز ؛ بيان الملازمة أن درجة الأنبياء كانت فى غاية الجلال والشرف . وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش ألاترى إلى قوله تعالى « يانساء النبى من يأت من كن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين . » (٣) والمحصن يرجم وغيره يحد ، وحد العبد نصف حد الحر ، وأما أنه لايجوز أن يكون النبى أقل حالاً من الأمة فذلك بالإجماع .

وثانيها: أن بتقدير إقدامه على الفسق وجب أن لا يكون مقبول الشهادة لقوله تعالى

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥

(٢) تفسير الرازى جـ ٣ ص ٨

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٠

« ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... » (١) لكنه مقبول الشهادة وإلا كان أقل حالاً من عدول الأمة ، وكيف لانقول ذلك وأنه لامعنى للنبوة والرسالة إلا أنه يشهد على الله تعالى بأنه شرع هذا الحكم أو ذاك ، وأيضاً فهو يوم القيامة شاهد على الكل لقوله تعالى « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . » (٢)

وثالثها: أن بتقدير إقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها فلم يكن إيذاؤه محرماً لكنه محرم لقوله تعالى « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة . » (٣)

ورابعها: أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لو أتى بالمعصية لوجب علينا الإقتداء به فيها لقولة تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . » (٤) فيفضى إلى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال ، وإذا ثبت ذلك فى حق محمد صلى الله عليه وسلم – ثبت أيضاً فى حق سائر الأنبياء ضرورة أنه لاقائل بالفرق .

وخامسها: أنا نعلم ببديهة العقل أنه لاشىء أقبح من نبى رفع الله درجته وأئتمنه على وحية وجعله خليفة فى عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه ترجيحاً للذته غير ملتفت إلى نهى ربه ولا انزجر بوعيده . هذا معلوم القبح بالضرورة .

وسادسها: أنه لوصدرت المعصية من الأنبياء لكانوا مستحقين للعذاب لقوله تعالى

---

(١) سورة الحجرات آية ٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٥٧ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣١

« ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً . » (١) ولإستحقوا اللعن لقوله « ألا لعنة الله على الظالمين . » وأجمعت الأمة على أن أحداً من الأنبياء لم يكن مستحقاً للعن ولا للعذاب فثبت أنه ماصدرت المعصية عنه .

وسابعها: أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلولم يطيعوه لدخلوا تحت قوله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . » (٢) وقال « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ... » (٣) فما لا يليق بواحد من وعاظ الأمة كيف يجوز أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام .

وثامنها: قوله تعالى « إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ... » (٤) ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل ويدخل فيه فعل ماينبغى وترك مالا ينبغى ، فثبت أن الأنبياء كانوا فاعلين لكل ماينبغى فعله وتاركين كل ماينبغى تركه وذلك ينافى صدور الذنب عنهم .

وتاسعها: قوله تعالى « وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » (٥) إلا الفعلة الفلانية والإستثناء يخرج من الكلام مالولاه لدخل تحته فثبت أنهم كانوا أخياراً فى كل الأمور وذلك ينافى صدور الذنب عنهم . وقال الله تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » (٦) وقال « إن الله أصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل

---

(١) سورة الجن آية ٢٣

(٢) سورة البقرة آية ٤٤

(٣) سورة هود آية ٨٨

(٤) سورة الأنبياء آية ٩٠

(٥) سورة ص آية ٤٧

(٦) سورة الحج آية ٧٥

عمران على العالمين . »(١) وقال فى إبراهيم « ولقد اصطفيناه فى الدنيا ... »(٢) وقال فى موسى « إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ... »(٣) فكل هذه الآيات دالة على كونهم موصوفين بالخيرية والإصطفاء ، وذلك ينافى صدور الذنب عنهم .

وعاشرها : أنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله ، وحزب الشيطان فلو أذنبوا لكانوا من حزب الشيطان وذلك لأن المطيع من حزب الله اتفاقاً فلو كان المذنب منه أيضاً لبطل التقسيم فيكون الأنبياء المذنبون خاسرين لقوله تعالى « ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون . »(٤) مع أن الزهاد من آحاد الأمة داخلون فى المفلحين فيكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء وذلك مما لاشك فى بطلانه .(٥) وقد وافق هذا صاحبا الموقف والمقاصد (٦) وذكرا تلك الوجوه التى ذكرها الرازى فى إثبات العصمة ، فلا معنى للأعادة .

وبهذا نجد أن العصمة ثابتة للأنبياء ، وهى من صفاتهم التى أكرمهم الله بها وميزهم على سائر البشر فلم تكن لأحد إلا للأنبياء الكرام حيث وهبهم الله هذه النعمة العظمى ، وحفظهم من أرتكاب المعاصى والذنوب صغيرها وكبيرها فلا يمكن أن تقع منهم معصية أو مخالفة لأوامر الله عز وجل بخلاف سائر البشر . وذلك لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم

---

(١) سورة آلي عمران آية ٣٣

(٢) سورة البقرة آية ١٣٠

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٤

(٤) سورة المجادلة آية ١٩

(٥) تفسير الرازى جـ ٣ ص ٨ ، ٩

(٦) أنظر المواقف جـ ٨ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، والمقاصد جـ ٢ ص ١٤٣

والإقتداء بهم والسير على منهجم فهم القدوة الحسنة والنموذج الكامل للبشرية جمعاء .
فلوجاز وقوعهم فى المعصية أو أرتكابهم للموبقات ، والآثام لأصبحت المعصية مشروعة أو أصبحت طاعتهم علينا غير واجبة ، وهذا غير سليم بل هو أمر مستحيل .

شبهات حول عصمة الأنبياء :

قد يقول قائل : كيف يكون الأنبياء معصومين مع أن القرآن قد أثبت لبعضهم بعض المخالفات ونسب إلى البعض الآخر منهم الذنب والمعصية .

وقد أجاب المفسرون والمتكلمون على تلك الشبهات بما يلى :-

أولاً : ماورد فى حق آدم عليه السلام : قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى . » (١)

قال الرازى « إن آدم حال ماصدرت عنه هذه الأشياء ماكان نبياً وأن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وأن الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة ... » (٢)

وقال العلامة القرطبى عند تفسير قوله تعالى « ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ... » (٣) « واختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله « فتكونا من الظالمين » فقال قوم أكلا من غير التى أشير إليها ، فلم يتأولا النهى واقعاً على جميع جنسها ، وقيل أكلها ناسياً وهو الصحيح ، لإخبار الله تعالى فى كتابه العزيز بذلك حتماً وجزماً فقال « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل نفس ولم نجد له عزماً . » (٤) ولكن لما كان

---

(١) سورة طه آية ١٢١ .
(٢) تفسير الرازى جـ ٢٢ ص ١٢٨
(٣) سورة الأعراف آية ١٩
(٤) سورة طه آية ١١٥

الأنبياء عليهم السلام يلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم مالا يلزم غيرهم كان تشاغله عن تذكر النهى تضيعاً صار به عاصياً أى مخالفاً . » (١)

وذكر البيضاوى أن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه الأول : أنه لم يكن نبياً حينئذ والمدعى مطالب بالبيان ، والثانى أن النهى للتنزيه ، وإنما سمى ظالماً وخاسراً لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بتركه الأولى له . والثالث : أنه فعلة ناسياً لقوله «فنسى ولم نجد له عزماً » ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان . » (٢)

وقيل : إن آدم عليه السلام لما نهى عن الأكل من الشجرة بقولة « ولاتقربا هذه الشجرة » ظن أن المراد عين هذه الشجرة لاجنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها فخالف الأمر ، وكان ذلك بأجتهاد منه لاعن سابق تعمد واصرار المخالفة . (٣)

وبهذا يتضح لنا من أقوال هؤلاء المفسرين أن آدم عليه السلام لم يتعمد مخالفة أمر الله عز وجل بأكله من الشجرة ، وإنما آكل منها متأولاً بطريق الإجتهاد أو ناسياً لأمر الله تبارك وتعالى فعاقبه الله بإخراجه من الجنه وأنزله إلى الأرض ، وذلك لحكمة إلهية سابقه فلا يجوز لنا أن نرميه بالعصيان مع أن ماوقع منه لم يكن إلا بسبب النسيان فتاب الله عليه فى قوله تعالى « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . » (٤)

ثانيا : ماورد فى حق نوح عليه السلام :

ومن هذه النصوص الكريمة قوله تعالى « ونادى نوح ربه فقال رب إن أبنى من

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٤٨ - ٣٤٩

(٢) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٥١

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٤

(٤) سورة طه آية ١٢٢

أهلى وإن وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ... » (١)

فنوح عليه السلام لم يرتكب هنا معصية أو إثما وإنما دعا الله أن ينجى ولده وأخذته الشفقة والعاطفة الأبوية ، لكونه بشراً ، وأباً رحيماً فطلب من الله أن يلهم ولده الإيمان لينجو من الغرق ، فاخبره الله تعالى بأنه قد سبقت له الشقاوة وأنه من الهالكين .

وقد بين الإمام الرازى الزلة التى صدرت من نوح عليه السلام فى هذا المقام فقال « إن أمة نوح عليه السلام كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ، ومؤمن يعلم إيمانه ، وجمع من المنافقين ، وقد كان حكم المؤمين هو النجاة . وحكم الكافرين هو الغرق ، وأما أهل النفاق فبقى حكمهم مخفياً ، وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمناً ، وكانت الشفقة المفرطة التى تكون من الأب فى حق الإبن تحمله على حمل أعماله وأفعاله لاعلى كونه كافراً ، بل على الوجوه الصحيحة ، فلما رآه بمعزل عن القوم طلب منه أن يدخل السفينة فقال « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » وذلك لايدل على كفره لجواز أن يكون قد ظن أن الصعود على الجبل يجرى مجرى الركوب فى السفينة فى أنه يصونه عن الغرق ، وقول نوح « لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » لايدل على أنه عليه السلام كان يقرر عند ابنه أنه لاينفعه إلا الإيمان والعمل الصالح ، وهذا أيضاً لايدل على أنه علم من ابنه أنه كان كافراً فعند هذه الحالة قد بقى فى قلبه ظن أن ذلك الابن مؤمن ، فطلب من الله تعالى تخليصه بطريق من الطرق ، إما بأن يمكنه من دخول السفينة ، وإما

---

(١) سورة هود آية ٤٥ ، ٤٦

أن يحفظه على قمة الجبل ، فعند ذلك أخبره الله بأنه منافق ، وأنه ليس من أهل دينه ، فالزلة الصادرة عن نوح عليه السلام هى أنه لم يستقص فى تعريف مايدل على نفاقه وكفره ، بل اجتهد فى ذلك وكان يظن أنه مؤمن ، مع أنه قد أخطأ فى ذلك الإجتهاد ، لأنه كان كافراً فلم يصدر عنه إلا الخطأ فى هذا الإجتهاد فثبت بما ذكرنا أن الصادر عن نوح عليه السلام ماكان من باب الكبائر وإنما هو من باب الخطأ فى الإجتهاد . » (١)

وقال الشيخ أبو منصور عند تفسير هذه الآية الكريمة « وقد كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه ، لأنه كان ينافق ، وإلا لايحتمل أن يقول : ابنى من أهلى ، ويسأله نجاته ، وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله جل وعلا « ولاتخاطبنى فى الدين ظلموا إنهم مغرقون . » فكان نوح يسألة على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ، ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله تعالى عليه ، وقوله « ليس من أهلك » أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر والعلن . » (٢)

وقال صاحب المقاصد « وأما الشبهة فى حق نوح عليه السلام فهو أن قوله تعالى « يانوح أنه ليس من أهلك » تكذيب له فى قوله « إن نبى من أهلى .

والحواب عنه : أنه ليس للتكذيب بل للتنبيه على أن المراد بالأهل هم الصالحون ، والمعنى أنه ليس من أهل دينك .. » (٣)

---

(١) تفسير الرازى ص ٦ ح ١٨

(٢) العلامة ابى بركات أحمد بن محمود لنسقى : مدارك التنزيل وحقائق التأويل جـ ٢ ص ٣٣٥ بهامش من تفسير الخازن

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٤

ثالثا : ماورد في حق ابراهيم عليه السلام :

أمـا مـاجاء بشـأن ابراهيم عليـه السلام أنـه كذب فـى قوله تعالى حكاية عنه « هذا ربى (١) » مشيراً إلى النجم ، وفى قوله تعالى حكاية عنه أيضـاً « بل فعله كبيرهم » (٢) وقوله « إنى سقيم . » (٣)

والجواب عن الآية الأولى يقول الرازى فى تفسيره «إن إبراهيم عليه السلام لم يقل هذا ربى على سبيل الإخبار، بل الغرض منه أنه كان يناظر عبدة الكواكب ، وكان مذهبهم أن الكوكب ربهم وإلههم ، فذكر إبراهيم عليه السلام ذلك القول الذى قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى يرجع إليه فيبطله.أو أنه قال «هذا ربى» فى زعمكم واعتقادكم» (٤) كما بين القرطبى أن إبراهيم عليه السلام إنما قال هذا ربى لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم ؛ فلما أفل النجم قرر الحجة وقال : ماتغير لايجوز أن يكون رباً .. وقيل هو على معنى الإستفهام والتوبيخ ، منكراً لفعلهم والمعنى : أهذا ربى أو مثل هذا يكون رباً . ؟ (٥)

وذكر صاحب المواقف فى قوله « هذا ربى » أن هذا الكلام صدر عن إبراهيم عليه السلام قبل تمام النظر فى معرفة الله وكم بينه وبين النبوة إذ لايتصور النبوة إلا بعد

---

(١) هذا جزء من آية ٧٦ من سورة الأنعام
(٢) سورة الأنبياء آية ٦٣
(٣) سورة الصافات آية ٨٩
(٤) تفسير الرازى جـ ١٣ ص ٥٢
(٥) تفسير القرطبى ص ٢٥٤٩ جـ ٣

تمام ذلك النظر أو أنه قال هذا الكلام على سبيل الفرض إرشاداً للصابئة إذا حاصل ماذكره أن الكواكب لو كانت أرباباً كما تزعمون لزم أن يكون الرب متغيراً آفلاً وهذا باطل . (١)

وبهذا نرى أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب فى قوله « هذا ربى » وإنما قال ذلك مجاراة للخصم فى زعمه الباطل . ثم يكر عليه بالحجة ليفسد قوله ويبطل زعمه .

ولهذا فقد ذكر البيضاوى وقوله « هذا ربى » على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه لإفساده . (٢)

ويقول « ابن العربى » فى أحكام القرآن : « والذى أوتيه إبراهيم من العلم بالحجة ، بظهور دلالة التوحيد وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى والشك فيه ، والإخبار أن ماجرى بينه وبين قومه إنما كان احتجاجاً ، ولم يكن اعتقاداً » (٣)

فمن ظن بإبراهيم الشك أو اعتقد أنه عبد الشمس أو الكواكب فقد جانب الحق ، وأخطأ الفهم ، وجهل صفات الأنبياء والمرسلين .. وكيف يكون ذلك والله جل جلاله قد أعطاه العقل وكمال الرشد قبل النبوة فقال « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين . » (٤)

ونجد الرازى أيضاً عند تفسير قوله تعالى « فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى

---

(١) شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٧٠
(٢) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٣١٧
(٣) أبو بكر العربى : أحكام لقرآن جـ ٢ ص ٧٣٢
(٤) سورة الأنبياء آية ٥١

سقيم . » (١) يقول « إن إبراهيم عليه السلام نظر نظرة في النجوم فى أوقات الليل والنهار ، وكانت تأتيه سقامة كالحمى فى بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هى فى تلك الساعة وقال « إنى سقيم » فجعله عذراً فى تخلفه عن العيد الذى لهم وكان صادقاً فيما قال لأن السقم كان يأتيه فى ذلك الوقت . » (٢)

أن إبراهيم عليه السلام قد احتال للبقاء وعدم الخروج مع القوم فى عيدهم وذلك كى يتمكن من تكسير هذه الأصنام التى يعبدها قومه مع أنها لاتضر ولاتنفع فنظر فى السماء على عادتهم حيث كانوا نجامين وأوهمهم أن النجوم تدل على أنه سيسقم غداً فقال « إنى سقيم » أى سأمرض إن خرجت معكم . وهذا ليس كذبا .

وذلك كما ذكر الحافظ ابن كثير أن هذا ليس من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ، وإنما إطلق الكذب على هذا تجوزاً ، وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء فى الحديث « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب . » (٣)

وذكر صاحب المواقف « أن النظر فى النجوم ليستدل بها على توحيد الله وكمال قدرته من أعظم الطاعات ، وأما ترتيب الحكم بالسقم على النظر فلعل الله تعالى أخبره بأنه إذا طلع النجم الفلانى فإنه يمرض . » (٤)

وقوله « بل فعله كبيرهم » ليس بكذب ، وذلك لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن قصده

---

(١) الصافات آية ٨٨ ، ٨٩

(٢) تفسير الرازى ص ١٤٧ جـ ٢٦

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٣

(٤) شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٧١

ن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على سلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم وتبكيتهم . (١)

وقد أشار صاحب المواقف « أن هذا من قبيل الإسناد إلى السبب فإن حامله على الكسر زيادة تعظيمهم لذلك الكبير . » (٢)

فليس إذن فى كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام مايدل على تعمد الكذب الذى يخل بعصمة الأنبياء ، وإنما هو نوع من التعريض المباح والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

رابعاً : ماورد فى حق يوسف عليه السلام : وهو الهم المشار إليه فى قوله تعالى « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ... » (٣) وجعل السقاية فى رحل أخيه . ورضاه بسجود أبويه وأخوته له .

والجواب عن هذا الهم نرى الرازى يقول « إن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل والهم المحرم ، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب . فإن الدلائل قد دلت على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا يلتفت إلى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة المتقدمين ، فإن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والإستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام فى قوله « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . » (٤)

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٢ ص ١٨٥
(٢) شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٧١
(٣) سورة يوسف آية ٢٤
(٤) سورة الأعراف آية ٢٣

وقال فى حق داود عليه السلام « فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . » (١) وأما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيئاً من ذلك فى هذه الواقعة لأنه لوصدر منه شيء لإتبعه بالتوبة والإستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه فى كتابه كما ذكر عن غيره من الأنبياء ، وحيث لم يحك عنه شيئاً علمنا أنه ماصدرت عنه فى هذه الواقعة ذنب ولامعصية . » (٢)

ثم يبين الرازى الأدلة على براءة يوسف عليه السلام قائلاً « ويدل على ذلك أيضاً أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب إليه ، واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها ، والنسوة والشهود ، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب . أما بيان أن يوسف ادعى البراءة مما نسب إليه فهو قوله عليه السلام « هى راودتنى عن نفسى » (٣) وقوله « رب السجن أحب إلى مما يدعوننى اليه . » (٤) وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . » (٥) وأيضاً قالت « الأن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . » (٦) وأما بيان أن زوج المرأة اعترف بذلك فهو قوله « إنه من كيدكن إن

---

(١) سورة ص آية ٢٤
(٢) تفسير الرازى جـ ١٨ ص ١١٨ - ١١٩
(٣) سورة يوسف آية ٢٦
(٤) سورة يوسف آية ٣٣
(٥) سورة يوسف آية ٣٢
(٦) سورة يوسف آية ٥١

كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ... » (١) وأما بيان الشهود فقوله تعالى « وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . » (٢)

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . » (٣) ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين . » (٤)

فأقر بأنه لايمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقولة تعالى « إنه من عبادنا المخلصين » فكان هذا إقرار من إبليس بأنه ماأغواه وما أضله عن طريق الهدى . » (٥)

ثم يقول الرازى « وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته ، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ، ولعلهم يقولون كنا فى أول الأمر تلامذة إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه فى السفاهة .

كما قال الخوارزمى :

وكنت امرأ من جند إبليس – فارتقى بى الدهر حتى صار إبليس من جندى فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام برىء عما يقوله هؤلاء الجهال (٦).

---

(١) سورة يوسف آية ٢٨ ، ٢٩

(٢) سورة يوسف آية ٢٦

(٣) سورة يوسف آية ٢٤

(٤) سورة الحجر آية ٣٩ ، ٤٠

(٥) تفسير الرازى جـ ١٨ ص ١١٩

(٦) المصدر السابق جـ ١٨ ص ١٢٠

وقد مال كثير من المفسرين إلى تفسير الهم بميل النفس أو الطبع كما قال البيضاوى وغيره : إنها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها ، والهم بالشىء قصده والعزم عليه ، والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الإختيارى وذلك مما لايدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل عن الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم . (١)

وقد وضح الإمام القرطبى أنه جرى من يوسف هم وكان ذلك حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل وماكان من هذا القبيل لايؤاخذ به العبد ، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد ، وتناول الطعام اللذيذ ، فإذا لم يأكل ولم يشرب ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس فى النفس ، والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزماً مصمماً . (٢)

وقال شارح المقاصد « إن هذا الهم هو الميلان المذكور فى الطبيعة البشرية لا الهم بالمعصية والقصد إليها . » (٣)

ثم ذكر أنه لادلالة هنا على العزم والقصد إلى المعصنية .. ولهذا ورد فى هذا المقام من الثناء على يوسف من غير أن تقع عليه زلة أو يذكر له استغفار وتوبة . وأما جعل السقاية فى رحل أخيه فقد كان بإذنه ورضاه . والسجدة كانت عندهم تحية وتكرمة . (٤)

---

(١) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٤٩٢
(٢) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٣٤٨٩
(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٤
(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٤

وذكر الرازى والقرطبى عند تفسير قوله تعالى « جعـل السقاية فى رحل أخيه . » (١) « أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال له : إنى أريد أن أحبسك هـهنا ولاسبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضى بأن يقال فى حقه ذلك ، وعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنباً . » (٢)

وقال الرازى عند تفسير قوله تعالى « وخروا له سجداً .. » (٣) أن ذلك السجود كان سجوداً للشكر . فالمسجود له هو الله تعالى إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله ، والدليل على صحة هذا التأويل أن قوله « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً » مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له ، ولو أنهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير لأن ذلك أدخل فى التواضع . » (٤)

فقد وضح لنا الرازى فى هذا النص أن السجود كان للشكر ، وأن المسجود له هو الله ، وإنما كان ذلك السجود لأجل وجود يوسف عليه السلام .

وقال القرطبى فى تفسيره لنفس الاية السابقة « أجمع المفسرون أن ذلك السجود على أى وجه كان إنما كان تحية لاعبادة ، وقال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . » (٥)

وقد بين الحافظ ابن كثير أن هذا السجود كان سائغاً فى شرائعهم إذا سلموا على

---

(١) سورة يوسف آية ٧٠

(٢) تفسير الرازى جـ ١٨ ص ١٨٣ ، وتفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٥٦٣ ، ٣٥٦٤

(٣) سورة يوسف آية ١٠٠

(٤) تفسير الرازى جـ ١٨ ص ٢١٦

(٥) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٦٠٠

الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلي شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم فى هذه الملة وجعل السجود مختصاً بجانب الرب سبحانه وتعالى . (١)

خمساً: ماورد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم:

وذلك مثل قوله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر . » (٢) قال الرازى فى الجواب عن ذلك « إنه من وجوه : أحدها : المراد ذنب المؤمنين . ثانيها : المراد ترك الأفضل وثالثها : الصغائر فإنها جائزة على الأنبياء بالسهو والعمد وهو يصونهم عن العجب . وابعها : العصمة . » (٣)

وقال أبو السعود « ومعنى الآية ليغفر الله جميع مافرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل . » (٤)

وقد أشار إلى ذلك سعد الدين التفتازانى قائلاً « وهذا محمول على ترك الأولى ، والأفضل . » (٥)

وأيضا وماورد فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه أذنب قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى .. » (٦) فقد تمسك بهذه الآية من زعم أن المعصية تقع من الأنبياء ، وأن العصمة غير واجبة لهم ، وهذا خطأ فى الفهم وعدم إدراك للمعنى الصحيح ، ومن

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٩١
(٢) سورة الفتح آية ١ ، ٢
(٣) تفسير الرازى جـ ٢٨ ص ٧٨
(٤) تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ١٠٤
(٥) شرح المقاصد جـ ص ١٤٥
(٦) سورة عبس آية ١ ، ٢

سبب نزول الآية يتضح أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يرتكب معصية ، وإنما خالف الأولى فنبهة الله تعالى إلى الأكمل والأفضل ٠

فقد روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يناجى عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام والعباسى ابن عبد المطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا فاقبل إليه رجل أعمى يقال له « عبدالله بن أم مكتوم » يمشى وهو يناجيهم فجعل عبدالله يستقرىء النبى صلى الله عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يارسول الله علمنى مما علمك الله فاعرض عنه رسول الله وعبس فى وجهه وتولى وكرهَ كلامه وأقبل على الآخرين فأنزل الله عبس وتولى – الايات فلما نزل فيه مانزل كرمه رسول الله وكلمه وقال له هل لك حاجة فى شىء ٠ ؟ (١)

فنرى من سبب نزول الآية أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان مشغولاً مع رؤساء قريش ، وكان يحرص على دعوتهم لأنهم إذا أسلموا أسلم باسلامهم الناس ، وقد جاءه الأعمى فى وقت كان مشغولاً فيه فترك إجابته لما هو فى نظره أهم وأعظم ، فعاتبه الله على هذا وبين له ماهو الأفضل والأحسن ٠

قال الرازى « القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء تمسكوا بهذه الآية وقالوا لما عاتبه الله فى ذلك الفعل دل على أن ذلك الفعل كان معصية وهذا بعيد فإنا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتعين . إلا بحسب هذا الإعتبار الواحد وهو أنه يوهم تقديم الأغناء على الفقراء ، وذلك غير لائق بصلابة الرسول ، وإذا كان كذلك كان ذلك جارياً مجرى ترك

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٣٠ ص ٣٣ ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٧٠ – ٤٧١

الإحتياط وترك الأفضل فلم يكن ذلك ذنبا البتة . » (١)

وأجاب ابن حزم بقوله « وأما قوله » عبس وتولي » الايات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه بعض عظماء قريش ، ورجا إسلامهم وعلمَ أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثيرون وأظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لايفوته وهو حاضر معه ، فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير ، عما لايخاف فوته ، وهذا غاية فى النظر فى الدين والإجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الأمر ، ونهاية التقرب إلى الله الذى لو فعله اليوم منا فاعل لأجر ، فعاتبه الله تعالى إذ كان الأولى عند الله أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقى ، ويترك أولئك المعاندين » (٢)

وهكذا تبطل مزاعم المفترين أمام الحجج الدامغة والبراهين الساطعة التى تدل على عصمة الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) تفسير الرازى جـ ٣١ ص ٥٦

(٢) ابن حزم الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ١٨

الفصل الرابع

المعجزة وشروطها

الدلالة اللغوية

المعجزة فى اللغة مشتقة من العجز الذى هو نقيضالقدرة . والمعجز فى الحقيقة فاعل العجز فى غيره وهو الله تعالى . كما أنه هو المقدر لأنه فاعل القدرة فى غيره . (١)

وجاء فى لسان العرب « العجز نقيض الحزم ، يقال عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزاً فيهما ، ورجل عجِز وعجُز ، عاجز عن الشىء ، ويقال أعجزت فلاناً إذا ألفيته عاجزاً ، والمعجزة العجز . قال سيبويه المعجز والمعجَز الكسر على النادر والفتح على القياس لأنه مصدر والعجز الضعف تقول عجزت عن كذا أعجز وفى حديث عمر « لاتُلُثُّوا بدار معجزة . » أى لاتقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الإكتساب والتعيش . والمَعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز وهو عدم القدرة وفى الحديث « كل شىء يقدر حتى العجز والكبس . » وقيل إراد بالعجز ترك مايجب فعله بالتسويف ، وهو عام فى أمور الدنيا والدين ، وفى حديث الجنة « مالي لايدخلنى إلا سقط الناس وعجزهم » جمع عاجز ويقصد بها العاجزين فى أمور الدنيا . ومنه التعجيز ومعناه التثبيط وذلك إذا نسبته إلى العجز ، وعجّز - الرجل وعاجز ذهب فلم يوصل إليه . » (٢)

وقد جاء فى التنزيل العزيز قوله تعالى « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين » (٣)

---

(١) البغدادى : أصول الدين ص ١٧٠، وشرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣٠

(٢) ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٢٨١٦ دار المعارف بمصر

(٣) سورة سبأ آية ٥

قال ابن منظور « قال الزجاج : معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لايبعثون وأنه لاجنة ولانار . » وقيل فى التفسير معاجزين معاندين ، وقُرئت مُعَجِّزين ، وتأويلها أنهم يُعجزون من اتبع النبى – صلى الله عليه وسلم – ويثبطونهم عن الإيمان بالآيات ، وقد أعجزهم وفــى التنزيل الكريـم قوله تعالى « ومـا أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء . » (١)

قال الفراء: كيف وصفهم بأنهم لايعجزون فى الأرض ولا فى السماء . وليسوا فى أهل السماء ، فالمعنى ما أنتم بمعجزين فى الأرض ولامن فى السماء بمعجز . وقال أبو اسحاق معناه ماأنتم بمعجزين فى الأرض ولو كنتم فى السماء ، وقال الأخفش معناه ماأنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء أى لاتعجزوننا لا فى السماء ولا فى الأرض .

وقال ابن عرفه فى قوله « معاجزين » أى يعاجزون الأنبياء ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله ، وليس يعجز الله جل ثناؤه خلق فى الأرض ولا فى السماء ولا ملجأ منه إلا إليه . (٢)

وفى المفهوم الإصطلاحى : يعرفها الرازى قائلا هى : فعل خارق للعادة فعله فاعله لغرض تصديق المدعى للرسالة . (٣)

وذكر القرطبى بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة . (٤)

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٢

(٢) ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٢٨١٦ – ٢٨١٧

(٣) تفسير الرازى جـ ٢١ ص ٦٦

(٤) القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٣٩ تحقيق د. أحمد السقا دار التراث العربى .

وقال أبو المظفر الأسفراييني « المعجزة فعل يظهر على يدى مدعى النبوة بخلاف العادة فى زمان التكليف موافقاً لدعواه وهو يدعو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين به صدق من يظهر على يده ٠ » (١)

وعرفها صاحب المواقف قائلاً « وحقيقة المعجزة عندنا عبارة عن ماقصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول الله ٠ » (٢)

وقال شارح المقاصد « بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة » (٣)

ومع كثرة هذه التعاريف التى ذكرها العلماء للمعجزة فإننا نجد أن مؤداها يدور حول أمر يدركه الناس سواء كان قولاً أو فعلاً أو تركاً وهذا القول أو الفعل من قبل الله تعالى وحده يكون خارقاً للعادة لايجرى على وفق ماعتاده الناس ٠

ثالثاً : شروط المعجزة :

ذكر الإمام القرطبى فى تفسيره أن شرائط المعجزة خمسة :

الأول :- أن تكون مما لايقدر عليها إلا الله سبحانه ، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لأنه لو أتى آتٍ فى زمان يصح فيه مجىء الرسل وادعى الرسالة ، وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذى ادعاه معجزة له ، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله ، وإنما وجب أن تكون المعجزات كفلق البحر وانشقاق القمر ، وماشاكلها مما لايقدر عليه البشر ٠

---

(١) الإسفرانى التبصير فى الدين ص ١٠٤ تحقيق الكوثرى
(٢) المواقف جـ ٨ ص ٢٢٢ - ٢٢٣
(٣) شرح المقاصد ص ١٣٠ ج ٢

والشرط الثانى: أن تكون المعجزة خارقه للعادة ، وإنما وجب اشتراط ذلك لأنه لو قال المدعى للرسالة : آيتى مجىء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها لم يكن فيما ادعاه معجزة ، لأن هذه الأفعال وإن كان لايقدر عليها إلا الله ، فلم تفعل من أجله ، وقد كانت قبل دعواه على ماهى عليه فى حين دعواه ، ودعواه فى دلالتها على نبوته كدعوى غيره ، فبان أنه لاوجه له يدل على صدقه ، والذى يستشهد به الرسول عليه السلام له وجه يدل على صدقه ، وذلك أن يقول الدليل على صدقى أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواى عليه الرسالة ؛ فيقلب هذه العصا ثعباناً ، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة ، أو ينبع الماء من بين أصابعى كما ينبعه من العين ، أو ماسوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات ، التى ينفرد بها جبار الأرض والسماوات فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه لو أسمعنا كلامه العزيز ، وقال صدق أنا بعثته ؛ ومثال هذه المسألة ولله ورسوله المثل الأعلى ، مالوكانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض ، وقال أحد رجاله وهو بمرأى ومسمع منه والملك يسمعه : الملك يأمركم أيها الجماعة بكذا وكذا ودليل ذلك أن الملك يصدقنى بفعل من أفعاله ، وهو أن يخرج خاتمه من يده قاصداً بذلك تصديقى ، فإذا سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم ، ثم عمل ماالستشهد به على صدقه قام ذلك مقام قوله لوقال صدق فيما ادعاه على ؛ فكذلك إذا عمل الله عملاً لايقدر عليه إلا هو ، وخرق بع العادة على يد الرسول ، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه، وقال : صدق عبدى فى دعوى الرسالة ، وأنا ارسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا .

الشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله عز وجل ، فيقول آيتى أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا أو يحرك الأرض عند قولى لها تزلزلى ، فإذا فعل الله

سبحانه ذلك حصل المتحدى به ٠

الشرط الرابع : هو أن تقع المعجزة على وفق المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له ، وإنما وجب إشتراط هذا الشرط لأنه لوقال المدعى للرسالة : آية نبوتى ودليل حجتى أن تنطق يدى أو هذه الدابة فنطقت يده أو الدابة ؛ بأن قالت : كذب وليس هو نبى ، فإن هذا الكلام الذى خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعى للرسالة ، لأن مافعله الله لم يقع على وفق دعواه ؛ وكذلك مايروى أن مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ماكان فيها من الماء ، فما جعل الله سبحانه من هذا كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يدية لأنها وقعت على خلاف ماأراده المتنبىء الكذاب ٠

الشرط الخامس : من شروط المعجزة أن لايأتى أحد بمثل ماأتى به المتحدى على وجه المعارضة فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهى معجزة له دالة على نبوة من ظهرت على يده . فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتى بمثل ماأتى به ويعمل مثل ماعمل بطل كونه نبياً ، وخرج عن كونه معجزاً ٠ (١)

وقد ذكر صاحب المواقف تلك الشروط التى ذكرها القرطبى فى تفسيره وزاد عليها شرطين :

الأول : أن لايكون المعجز متقدماً على الدعوى بل مقارناً لها لأن التصديق قبل الدعوى لايعقل فلوقال معجزتى ماقد ظهر على يدى قبل لم يدل على صدقه ، ويطالب

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ١١٧ - ١١٨

بالإتيان بذلك الخارق بعد الدعوى . (١)

وقد يعترض على هذا الشرط فيقال : فما تقولون فى كلام عيسى فى المهد وتساقط الرطب الجنى عليه من النخلة اليابسة ، فإنهما معجزتان له مع تقدمهما على الدعوى ، وماتقولون فى معجزات رسولكم من شق بطنه وغسل قلبه واظلال الغمامة وتسليم الحجر والمدر عليه فكلها متقدمة على دعوى الرسالة .

ويجيب الإيجبى على هذا الإعتراض قائلاً « تلك الخوارق المتقدمة على الدعوى ليست معجزات ، إنما هى كرامات ، وظهورها على الأولياء جائز والأنبياء قبل نبوتهم لايقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضاً وحينئذ تسمى إرهاصاً » (٢)

والشرط الثانى: أن يكون ذلك فى زمان التكليف ، لأن مايقع فى الآخرة من الخوارق ليست بمعجزة ، ولأن مايظهر عند ظهور أشراط الساعة وإنتهاء التكليف لايشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات وتغير الرسوم . (٣)

رابعاً : وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول

أختلف علماء الكلام (الأشاعرة) فى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول على ثلاثه أقوال :

القول الأول: وهو مذهب جمهور الأشاعرة وهؤلاء يرون أن دلالة المعجزة على صدق النبى ليست دلالة عقلية ، كدلالة الحدوث على المحدث ، وإنما هى دلالة عادية جرت العادة

---

(١) شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٢٥

(٢) الإيجى : شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٢٥ - ٢٢٦

(٣) أصول الدين للبغدادى ص ١٧١ ، وشرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣١

بأن يخلق الله علماً ضرورياً عادياً لمن يشاهدها بصدق من ظهرت على يديه فى دعوى النبوة والرسالة ٠

يقول إمام الحرمين الجوينى « إعلموا أرشدكم الله أن المعجزة لاتدل على صدق النبى حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها فإن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ولايقدر فى العقل وقوعه غير دال عليه وليس كذلك سبيل المعجزات ٠ » (١)

ثم يوضح الإمام الجوينى ذلك بالمثال فيقول « وبيان ذلك بالمثال فى الوجهين أن الحدوث لما دل على المحدث لم يتصور وقوعه غير دال عليه ، وانقلاب العصاحية لو وقع بدياً من فعل الله عز وجل من غير دعوى نبى لما كان دالاً على صدق مدع فقد خرجت المعجزات عن مضاهات دلالات العقول ٠ » (٢)

وهكذا فقد أوضح الجوينى أن دلالة المعجزة ليست عقليه وإنما هى دلالة عادية ، وتبعه فى هذا الغزالى حيث جعل دلالة المعجزة على صدق الرسول من قبيل الضرورة العادية فيقول « لو تحدى إنسان بين يدى ملك على جنده أنه رسول الملك إليهم ، فطالبوه بالبرهان فقال أيها الملك إن كنت صادقاً فيما إدعيته فصدقنى بأن تقوم على سريرك ثلاث مرات على التوالى وتقعد على خلاف عادتك فقام الملك عقيب التماسه على التوالى ثلاث مرات ثم قعد حصل للحاضرين علم ضرورى بأنه رسول الملك قبل أن يخطر ببالهم أن هذا الملك من عادته الإغواء أم يستحيل فى حقه ذلك ٠ » (٣)

---

(١) الجوينى : الإرشاد ص ٣٢٤

(٢) الأرشاد ص ٣٢٤ ، والعقيدة النظاميه ص ٦٨ - ٦٩

(٣) العزالى : الإقتصاد فى الإعتقاد ص ١٦٦

وقد يعترض على هذا التمثيل بأنه قياس للغائب على الشاهد ، ومعلوم أن هذا القياس ظنى الدلالة فلا يفيد فى العقائد التى مدار ثباتها على الأدلة القطعية بخلاف الأحكام العملية إذ يكفى فيها الدليل الظنى كخبر الواحد . وقد أجيب على ذلك بأن هذا ليس دليلاً ولكنه تمثيل أريد به التوضيح والتفهيم فقط . (١)

ويرى صاحب المواقف أيضاً أن دلالة المعجزة عادية فيقول « دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست عقلية محضة كدلالة الفعل على وجود الفاعل فإن الأدلة العقلية ترتبط لنفسها بمدلولاتها ، ولايجوز تقديرها غير دالة عليها وليست المعجزة كذلك ، فإن خوارق العادات كانقطاع السماوات وانتشار الكواكب وتدكك الجبال يقع عند تصرم الدنيا ، وقيام الساعة ولا إرسال فى ذلك الوقت ، وكذلك تظهر الكرامات على الأولياء من غير دلالة على صدق مدعى النبوة ، ولا دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبى بل هى دلالة عادية ، وهى عندنا أى الأشاعرة إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة فإن إظهار المعجز على يد الكاذب وإن كان ممكناً عقلاً فمعلوم انتفاؤه عادة كسائر العاديات فلا تكون دلالته عقلية لتخلف الصدق عنه فى الكاذب بل عادية كسائر لعاديات . » (٢)

ويرى صاحب المقاصد أن ظهور المعجزات على يد الكاذب وإن كان جائزاً عقلاً فهو ممتنع عادة معلوم الإنتفاء قطعاً لأن تجويزه مجرد فرضه ، وإنما اعتمد الجواز على ماهو مؤكد من شمول قدرة الله تعالى ، ولكنه ممتنع عادة معلوم الإنتفاء قطعاً كما هو

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣١

(٢) الإيجى : شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

حكم سائر العاديات ٠

وهذا الرأى نفسه يراه الباقلانى حيث يرى أن اقتران ظهور المعجزة بالصدق أحد العاديات فإذا جوز إنحراف العاديات عن مجراها جاز اخلاء المعجزة عن الصدق ، وحينئذ يجوز إظهارها على يد الكاذب ، وأما بدون تجويز اعراف العاديات عن مجراها فلا يجوز تخليتها عن الصدق لإستحالة العلم بصدق الكاذب ٠ (١)

وقد فسر إمام الحرمين من إلتزام ظهور المعجزة على يد الكاذب فقال « مانرتضيه فى ذلك أن المعجزة يستحيل وقوعها حسب دعوى الكاذب لأنها تتضمن تصديقاً ، والمستحيل خارج عن قبيل المقدورات ، ووجوب إختصاص المعجزة بدعوى الصادق ، كوجوب اقتران الألم بالعلم به فى بعض الأحوال ، وجنس المعجزة يقع من غير دعوى ، وإنما الممتنع وقوعه على حسب دعوى الكاذب ٠ » (٢)

فهو هنا يقرر استحالة ظهور المعجزة على يد الكاذب لأن المعجزة تتضمن التصديق فظهورها على يد الكاذب يجعله صادقاً كاذباً وهو محال . وبناء عليه فهو خارج عن مقدورات الله لأن قدرته لاتتعلق بالمستحيل وهذا فى رأيى أدق من الأول وهو ربط الدلالة بعدم انحراف العاديات عن مجراها لأن فى ذلك نظر لأن المعجزة فى حد ذاتها قائمة على هذا التجويز ، واختصاص المعجزة بدعوى الرسالة أغلب لأن جنس المعجزة وهو يعنى هنا مجرد الخارق هذا الخارق يقع من غير دعوى الرسالة لكن المستحيل هو ظهور هذا الخارق على يد الكاذب لإستلزامه المحال ٠

---

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٣٢

(٢) الجوينى : الإرشاد ص ٣٢٧ - ٣٢٨

على أن رأى الباقلانى وغيره من أن استلزام المعجزة للصدق إنما هو مبنى على عدم تجويز خرق العادات فيه لأنه يوجب اشكالاً فحواه : أن المعجـزة فى حد ذاتها أمر خارق للعادة فكيف يكون استلزامها لتصديق الله مبنياً على عدم خرق العادة عن مجراها ؟ على أن القول بجواز خرق العادة من غير النبوة كالكرامة ينطوى على هذا التجويز . (١)

القول الثانى: وهو لبعض الأشاعرة : وهؤلاء يرون أن دلة المعجزة على صدق الرسول دلالة وضعية ، وبيان ذلك أن دلالة المعجزة على صدق الرسول كدلالة الألفاظ على معانيها لأنها بمنزلة قوله « صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى » وعلى هذا يستحيل صدور المعجزة على يد الكاذب لما يلزم عليه من كذب الإله وهو محال ، هذا ولايضح أن تكون دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة سمعية لأن هذا يستلزم الدور . إذ أن السمع لايثبت إلا إذا ثبت صدق الرسول ، وصدق الرسول متوقف على المعجزة الدالة على ذلك . (٢)

القول الثالث: وهو للإمام أبى الحسن الأشعرى وبعض الأصحاب وهؤلاء يذهبون أن دلالة المعجزة عقلية فقد نقل عضد الدين الإيجى عن الأشعرى وبعض أصحابه رأياً يبين أن دلالة المعجزة عقلية فيقول « إن خلق المعجزة على يد الكاذب غير مقدور فى نفسه لأن للمعجزة دلالة على الصدق قطعاً أى يمتنع فيها التخلف . » (٣)

---

(١) فى العقيدة الإسلامية ص ٢٨٢ د . شوقى إبراهيم على عبدالله سنه ١٩٨٥م دار أبو المجد للطباعة

(٢) السنوسية الكبرى ص ٤٥٦ – ٤٥٧ للشيخ السنوسى تأليف الأستاذ الجليل / إسماعيل موسى الحامدى على عمدة أهل التوفيق ولتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى طبعة أولى طبعه الحلبى سنه ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦م

(٣) المواقف جـ ٨ ص ٢٢٩

وعلى هذا يستحيل عقلا أن يظهر الله أمراً خارقاً للعادة على يد المدعى للنبوة كذباً إذ يلزم على ذلك أن يكون الكاذب صادقاً وعدم التفرقة بين النبى والمتنبىء سفه لايليق بالحكيم .

ويقول الشهرستانى « الآية الخارقة للعادة كما دلت بوقوعها على قدرة الفاعل وهو الله تعالى ، ودلت بإختصاصها على إرادته ، وبإحكامها على علمه كذلك دلت بوقوعها مستجابة لدعاء الداعى لالدعوى المدعى على أن له عند الله حالة صدق ، ومقالة حق ، ومن كانت دعوته مستجابة عند الله تعالى يستحيل أن يكون فى دعواه كاذباً على الله تعالى وهذا هو حقيقة النبوة . » (١)

وبعد أن أوضح الباحث آراء علماء الكلام (الأشاعرة) واختلافهم حول دلالة المعجزة على صدق الرسول . يرى أن الأولى بالقبول هو الرأى القائل بأن دلالة المعجزة عقلية ، وذلك لأن بها تقوم الحجة على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم .

ولهذا يقول أستاذنا الدكتور محى الدين الصافى « فدلالة المعجزة على صدق الرسول لابد أن تكون عقلية يقينية ، لأن المعجزة هى الدليل الوحيد على صدق الرسول ، ومن كذب الرسول بعد ظهورها على يده فهو كافر ، ومخلد فى النار ، أما من قال من الأشاعرة إنها دلالة عادية فهو لأن العلم بالمدلول حصوله عادى بعد النظر فى الدليل حتى فى العقليات عندهم ، وكلامهم غير مسلم فإنه متى كانت المقدمات يقينية فالنتيجة يقينية لاشك فيها . والشيخ إنما يعتبر دلالة المعجزة عقلية بعد مقارنتها لدعوى النبوة ، والتحدى بها لأنها تكون حينئذ دالة على صدقه بلاشك ، ولادخل للأحتمالات العقلية

---

(١)الشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٤٢٢

الفرضية لأن العقل يفرض عدم نفسه . » (١)

وللإمام الشيخ محمد عبده فى هذا المقام رأى جدير بأن أسجله هنا وذلك بعد عرضه لآراء المتكلمين فى وجه دلالة المعجزة على نبوة من ظهرت على يدية يقول « ومن المعلوم الذى لامراء فيه أن الذين أمنوا بالرسل فى عصرهم وبعد عصرهم من العقلاء والأذكياء وجدوا فى أنفسهم اعتقاداً اضطرارياً بأن ظهور مالايقدر عليه غير الله تعالى على أيديهم عقب ادعائهم مأدعوه ، وطلبهم من الله تعالى أن يصدقهم ، ويعطيهم آية تدل تصديقه إياهم فيه دليل على أنه هو الذى فعله لأجل تصديقهم ، قسم الدلالة عقلية أو سمها وضعية أو اجمع بين التسميتين إن شئت . » (٢)

وكما ترى فالقرآن الكريم ساق كثيراً من المعجزات دون أن يبين وجه الدلالة مبيناً محدداً ، بل المعجزة تعمل عملها فى الإنسان وتقنعه بكل وسائل الإقناع ويقع العلم بها وقوعاً اطلاقياً ، وبذلك يكون القرآن قد اختار طريق الشمول فى الدلالة ، فالأنسان الفطن المتبصر يستطيع أن يستدل من خلال المعجزة على صدق النبى وأن يتيقن من ذلك عقلا وضرورة وأن يقع الأمر الإعجازى موقع الأمر بالتصديق لكل من شاهد أو سمع .

والشيخ محمد عبده محق فى سلوك طريق الشمول ومتناسب قوله مع وجهة النظر القرآنية .

---

(١) الدكتور / محى الدين الصافى : لنبوات والسمعيات ص ٣١ - ٣٢

(٢) الإمام محمد عبده : تفسير المنار جـ ١ ص ١٨٢ تأليف الشيخ رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

أنواع المعجزة :

لقد ساق القرآن الكريم كثيراً من المعجزات للأنبياء ، ونلاحظ أنها تنوعت إلى أنوا ع شتى :

١- المعجزات الحسية

٢- المعجزات التاريخية

٣- المعنوية

أولاً المعجزات الحسية، ومن هذه المعجزات الحسية التى ذكرها القرآن الكريم معجزات موسى عليه السلام ، قال الله تعالى « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحوراً » (١) فقد بين الرازى فى تفسيره لهذه الآية أن المعجزة فعل خارق للعادة فعله فاعله لغرض تصديق المدعى ، ومعجزات موسى عليه السلام كانت موصوفة بهذين الوصفين لأنها كانت أفعالاً خارقة للعادة ، وصرائح العقول تشهد بأن قلب العصا حية معجزة عظيمة لايقدر عليها إلا الله ، ثم إن تلك الحية تلقف حبال السحرة وعصيهم على كثرتها ثم عادت عصا كما كانت فأصناف تلك الأفعال لايقدر عليها إلا الله وكذا القول فى فرق البحر وإظلال الجبل فثبت أن تلك الأشياء ما أنزلها إلا رب السماوات . » (٢)

وذكر القرطبى والبيضاوى وأبو السعود أن « الآيات » بمعنى المعجزات والدلالات الواضحة الدالة على نبوته وصحة ماجاء به من عند الله وهى العصا واليد ، والبحر

---

(١) سورة الإسراء آية ١٠١

(٢) تفسير الرازى جـ ٢١ ص ٦٦ - ٦٧

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات . (١)

وقال الحافظ ابن كثير « قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبى ، وقتادة وهى يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلى حسن قوى .. ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . » (٢)

وقد أيد الله تعالى موسى بمعجزات أخرى كثيرة تدل على صدقه فى دعواه النبوة والرسالة ، قال ابن كثير « وقد أوتى موسى آيات أخرى كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام ، وأنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أتوه بنو اسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هنا التسع آيات التى شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً . » (٣)

وأيضاً من المعجزات الحسية التى أيد الله بها موسى عليه السلام اظلال الغمام ، قال الواحدى عند تفسير قوله تعالى « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . » (٤)

قال المفسرون « وهذا كان حين أبوا على موسى دخول " تلقاء " مدينة الجبارين ، فتاهوا فى الأرض ثم ندموا على ذلك وكانت العزيمة من الله أن يحبسهم فى التيه

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤٠٦٥ ، وتفسير البيضاوى جـ ١ ص ٥٩٨ – ٥٩٩ ، وتفسير أبى السعود جـ ٥ ص ١٩٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٦٦

(٣) المصدر السابق جـ ٣ ص ٦٦ – ٦٧

(٤) سورة البقرة آية ٥٧

، فلما ندموا ألطف الله لهم بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى كرامة لهم ومعجزه لموسى . » (١)

ويقول البغدادى « ومعجزة موسى اليدو البيضاء وقلب العصا حية وحل العقدة من لسانه ، وسائر الآيات التسع التى كانت له . » (٢)

وقال الأسفرايني « ومامن رسول من رسل الله إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة أو معجزات كثيرة تدل على صدقه . وقد أخبر الله عن كثير منها فذكر فى قصة موسى عليه السلام فلق البحر ، وقلب العصا حية واليد البيضاء .... » (٣)

وأيضاً من المعجزات الحسية التى ذكرها القرآن الكريم المعجزات التى ظهرت على يد عيسى عليه السلام من ذلك قول الله على لسان عيسى وأبرىء الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله ... » (٤)

قال القرطبى قوله تعالى « وأحى الموتى بإذن الله » أن عيسى أحيا أربعة أنفس العاذر ، وكان صديقاً له ، وابن العجوز ، وابنة العاشر وسام بن نوح ، فأما العاذر فإنه كان توفى قبل ذلك بأيام » فدعا الله فقام بإذن الله تعالى فعاش وولد له . وأما ابن العجوز فإنه مر به يُحمل على سريرة فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله ، وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها ، وأما سام بن نوح ، فإن عيسى جاء إلى قبره ودعا الله باسمه الأعظم فخرج من قبره

---

(١) الواحدى : تفسير الوسيط جـ ١ ص ١١٢

(٢) البغدادى : أصول الدين ص ١٨٠

(٣) التبصير فى الدين ص ١٠٤

(٤) سورة آل عمران آية ٤٩

وقد شاب رأسه . فقال عيسى : كيف شاب رأسك ولم يكن فى زمانكم شيب ؟ فقال ياروح الله إنك دعوتنى فسمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت ، فمن هول ذلك شاب رأسى .. وقال للقوم صدقوه فإنه نبى فأمن بعضهم وكذبه بعضهم ، وقالوا هذا سحر » (١)

وذكر البيضاوى وأبو السعود والخازن أن فى قوله تعالى « وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم » دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ، ومعجزة عظيمة له وهى إخباره عن المغيبات مع ماتقدم له من الآيات الباهرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى وإخباره عن الغيوب بإعلام الله إياه ذلك ، وهذا مما لاسبيل لأحد من البشر عليه إلا الأنبياء عليهم السلام . » (٢)

كما نجد الطبرى عند تفسيره لنفس الآية السابقة يقول « وإنما أخبر الله عن عيسى عليه السلام أنه يقول ذلك لنبى إسرائيل ، احتجاجاً منه بهذه العبر والآيات عليهم فى نبوته ؛ وذلك أن الكمه والبرص لاعلاج لهما فيقدر على ابرائه ذو طب بعلاج فكان ذلك من أدلته على صدق قيله : إنه لله رسول ، لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التى أعطاه الله إياها دلالة على نبوته . » (٣)

فقد أوضح الإمام الطبرى أن عيسى عليه السلام جاء فى وسط قوم هم أهل براعة وخبرة فى فن الطب فتحداهم بما يعجز عنه أمهر الأطباء ، وهو إبراء الأكمه والأبرص ،

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ١٤٤٣ - ١٤٤٤

(٢) تفسير الخارق جـ ١ ص ٢٣٧ ، وتفسير البيضاوى جـ ١ ص ١٦٢ ، وتفسير أبى السعود جـ ٢ ص ٣٩

(٣) تفسير الطبرى جـ ٦ ص ٤٣٠ تحقيق أحمد شاكر

فدل ذلك على أن عيسى عليه السلام مؤيد بالمعجزات من قبل الله عز وجل .

ويقول الحافظ ابن كثير « وأما عيسى فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لاسبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هوفى قبره رهبين إلى يوم التناد . » (١)

ويقول لباقلانى : « إن عيسى عليه السلام جاء فى زمان قوم طب ومداواة فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فأتى بما هو خارج عن قبيل الطب خارقاً للعادة فيه لايقدر عليه مخلوق » (٢)

ويقول البغدادى « ومعجزات عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص ونحو ذلك . » (٣)

وقال الأسفرينى « وفى قصة داود وسليمان تلبين الحديد وتسخير الريح ، والشياطين والطيور وجميع دواب الأرض فى البر والبحر ، وفي قصة عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .. » (٤)

هذه كانت بعض النماذج للمعجزات الحسية التى ظهرت علي يد الأنبياء السابقين ، ونلاحظ أنها كانت مناسبة للقوم الذين ظهرت فيهم ، وقد انتهت بأنتهاء أنبيائهم .

وكذلك نرى أن الله تعالى قد أيد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بكثير من

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٥

(٢) الإنصاف ص ٦٢

(٣) أصول الدين ص ١٨٠

(٤) التبصير فى الدين ص ١٠٤

المعجزات الحسية نذكر منها مايلى

١- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة :

قال القرطبى « مائتى محمد صلى الله عليه وسلم من نبع الماء وانفجاره من يده وبين أصابعه أعظم فى المعجزة ، فإنا تشاهد الماء يتفجر من الأحجار أناء الليل وأناء النهار ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبى قبله صلى الله عليه وسلم يخرج الماء من بين لحم ودم . » (١)

روى الثقات والفقهاء الإثبات عن جابر بن عبدالله قال :« كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فلم نجد ماءً فأتى بتور (٢) فأدخل يده فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعة كأنه العيون ، قال « خذوا بسم الله » فشربنا فوسعنا وكفانا ولوكنا مائة ألف لكفانا ، وقال الأعمش فحدثنى سالم بن الجعد قال : قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال ألفاً وخمسمائه . » (٣)

٢- تكثير الطعام معجزة له صلى الله عليه وسلم :

من ذلك ماتضافرت به الروايات ، واشتهر عند أهل الديانات ونقله العدول الثقات من حديث « أبى طلحه » أن النبى صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين أو سبعين من أقراص شعير جاء بها « أنس » تحت ابطه . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بها ، ففتت وقال

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٤٥٩

(٢) التور : إناء يشرب فيه (مختار الصحاح ص ٨٠)

(٣) صحيح البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٤٢ باب عزوة الحديبية ، ودلائل النبوة للبيهقى جـ ٦ ص ١١ تحقيق د . عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - طبعة أولى سنه ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

ـيها ماشاء الله أن يقول . (١)

وذكر القرطبى وابن كثير أن الصحابة فى غزوة تبوك لما أجهدهم الجوع سألوا النبى صلى الله عليه وسلم تكثير طعامهم فجمعوا مامعهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم . فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ... » (٢)

٣- كلام الشجر . وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنبوة :

قال القرطبى والإيجى: قد وردت الأخبار ، ونقل عن الأئمة ، العدول الأخيار : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بعض غزواته ، فدنى منه أعرابى . فقال له « ياأعرابى أين تريد ؟ » فقال أهلى . فقال له « هل لك فى خير منهم ؟ » قال ماهو قال تشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . وأن محمداً عبده ورسوله فقال : ومن يشهد لك على صحة ماتقول ؟ قال هذه الشجرة فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على شط الوادى فأقبلت تخد الأرض أى تشقها حتى قامت بين يدية وشهدت له بالنبوة ورجعت إلى مكانها وآمن الأعرابى . (٣)

ومنها حنين الجذع : فقد تواترت الأخبار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب مستنداً على جذع نخله فلما صنع له منبر ترك الجذع الذى كان يخطب عليه . حن الجذع حنين الأبل الفاقدة أولادها ، حتى تصدع وانشق فجاء النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الإعلام للقرطبى ص ٣٥٤ جـ ٣

(٢) الأعلام ص ٣٣٥٥ وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩٧

(٣) المواقف للإيجى جـ ٨ ص ٢٥٧ ، والإعلام ص ٣٥٧

فوضع يده عليه فسكن . (١)

٤- معجزة انشقاق القمر :

وأنشقاق القمر من آيات رسول الله الظاهرة ومعجزاته الباهرة وقد دل القرآن الكريم عليه فقال تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » (٢)

قال الرازى « إذ القمر انشق ، والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر أنشق وحصل فيه الإنشقاق . » (٣)

ودلت الأخبار على أن القمر قد أنشق ففى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اشهدوا .

وعن مجاهد عن أبى معمر : عن عبدالله قال : انشق القمر ونحن مع النبى – صلى الله عليه وسلم – فصار فرقتين فقال لنا اشهدوا اشهدوا وعن أنس رضى الله عنه قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر . (٤)

فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لايشك فيه مؤمن ، وقد أخبر عنه الصادق

---

(١) الإعلام للقرطبى ص ٣٥٩ جـ ٣ وشرح المواقف جـ ٨ ص ٢٥٨

(٢) سورة القمر آية ١ ، ٢

(٣) تفسير الرازى جـ ٢٩ ص ٢٩

(٤) صحيح البخارى بحاشية الندى جـ ٣ تفسير سورة القمر ص ١٩٥

فيجب الإيمان به وواعتقاد وقوعه ٠ (١)

وقد ذهب قوم إلى أن أنشقاق القمر لم يقع بعد وهو منتظر ؛ أى اقترب قيام الساعة ، وانشقاق القمر ، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمز وغيره .. ولأنه إذا انشق مابقى أحد إلا رآه ؛ لأنه آية والناس فى الآيات سواء ٠ ويجيب الإمام القرطبى على ذلك قائلاً « قد ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة ، وهو ظاهر التنزيل ، ولايلزم أن يستوى الناس فيها ؛ لأنها كانت آية ليلية ، والناس على عادتهم المستمرة الغالب عليهم النوم . ومن كان منهم منتبهاً . كان منهم من قد انصرف عن ذلك ببعض أشغالهم . وكان منهم أيضاً من رآه عن أهل آفاق مكة . وأيضا فلعله إنما كان ذلك فى أول طلوع القمر ، ولاشك أن الناس تختلف رؤيتهم للقمر وغيره من الكواكب بحسب اختلاف ارتفا ع البلاد والأقاليم وإنخفاضها . فليس كل من فى معمور الأرض يراه فى وقت واحد . بل يختلف ذلك فى حقهم فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يطلع على قوم لايشاهده الآخرون.، وقد يحول بين قوم وبينه سحاب ، أو جبال ٠ » (٢)

ثم يدلل على ذلك فيقول « إن الكسوفات تحدث فى بعض البلاد دون بعض ، ويكون فى بعضها جزئية وفى بعضها كلية ، وفى بعضها لايعرفه إلا المشتغلون بعلم ذلك ولايحس بها غيرهم . لاسيما وهذه آية كانت بالليل ، والعادة فى الناس الهدوء والسكون ، وغلق الأبواب وقطع التصرف ، ولايكاد يعرف شيئاً من آيات السماء إلا من رصد

---

(١) تفسير الخازن جـ ٤ ص ٢٠٢

(٢) تفسير القرطبى جـ ٩ ص ٦٥٢٦ ، والأعلام له أيضاً ص ٣٤٩ جـ ٣

واهتبل (١) وكثيرا مايحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار وشهب ونجوم طوالع عظام تظهر فى أحيان من السماء ولاعلم عند أحد غير من يشاهدها . » (٢)

٥- معجزة الإسراء والمعراج :

من المعجزات الثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم معجزة الإسراء والمعراج . قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير . » (٣)

والإسراء السير بالليل ، يقال سريت سرى وسُرًى وأسريت إسراءً ؛ قال الشاعر :

وليلة ذات ندى سريت – ولم يلتنى من سراها ليت :

وقيل أسرى سار من أول الليل ، وسرى سار من آخره والأول أعرف . (٤)

وذكر القرطبى وابن كثير أنه قد تواترت الروايات فى حديث الإسراء فقد ثبت فى جميع مصنفات الحديث ، وروى عن الصحابة فى جميع أقطار الأرض فهو من المتواتر بهذا الوجه .

روى الصحيح عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه – قال – فركبته حتى أتيت بيت المقدس – قال – فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء –

---

(١) اهتيل حزن . ويقال اهتيل على ولده ، ويقال اهتيل فى سيره أسْرعْ إلى شانك ، ويقال اهتيل كذب وخدع .. ويقال سمع كلمة فاهتبلها ويقال اهتيل أغنتم الفرصة . (المعجم لوسيط جـ ٢ ص ٩٧٠)

(٢) الإعلام ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .

(٣) سورة الإسراء آية ١

(٤) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٩٣٢

قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فأخترت اللبن فقال جبريل أخترت الفطرة قال ثم عرج بنا إلى السماء الحديث ... » (١)

والأحاديث في الأسراء والمعراج كثيرة مشهورة

والإجماع منعقد على وقوع الإسراء والمعراج ولاخلاف بين العلماء فى ذلك . ولكن الخلاف بينهم فى هل كان الإسراء بروحه وجسده أو بروحه فقط فى المنام أو فى اليقظة ؟

فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، ولم يفارق شخصه مضجعه ، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق ، ورؤيا الأنبياء حق وذهب إلى هذا عائشة ومعاوية ، وحكى عن الحسن وابن اسحاق . وقالت طائفة من العلماء إنه أسرى ببدنه وروحه يقظه لامناماً ولاينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعد ذلك يقظة لأنه كان عليه السلام لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . » فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن متعظماً ، ولما قالت أم هانيء لاتحدث الناس فيكذبوك ولافضل أبو بكر بالتصديق ، ولما أمكن قريشاً التشنيع والتكذيب وكذبه قريش فيما أخبر به حتى أرتد أقوام كانوا آمنوا ، فلو كان بالرؤيا لم يستنكر ، وقد قال له المشركون : إن كنت صادقاً فخبرنا عن عيرنا أين لقيتها ؟ قال « بمكان كذا وكذا مررت عليها ففزع فلان فقيل له مارأيت يافلان قال مارأيت شيئاً

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٩٢٣ ، وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣ - ٤

غير أن الإبل قد نفرت » قالوا فأخبرنا متي تأتنا العير ؟ قال « تأتيكم يوم كذا وكذا » قالوا أية ساعة ؟ قال « ماأدرى طلوع الشمس من هاهنا أسرع أم طلوع العير من هاهنا » فقال رجل ذلك اليوم ؟ هذه الشمس قد طلعت وقال رجل وهذه عيركم قد طلعت . (١)

وقد سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن صفة . بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن رآه قبل ذلك .

وهذا يدل على أن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالروح والجسد معاً .

قال الرازى « قال أهل التحقيق : الذى يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر ، أما القرآن فهو هذه الآية ، وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح ، فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح . والدليل عليه قوله تعالى « أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى » (٢)

ولاشك أن المراد من العبد ههنا مجموع الروح والجسد ، وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح وهو مشهور ، وهو يدل على الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ، ثم منه إلى السماوات . » (٣)

وذهب إلى هذا أيضاً الإمام البيضاوى فقال « والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماوات حتى إنتهى إلى سدرة المنتهى ، ولذلك تعجب

---

(١) تفسير القرطبى جـ٥ ص ٣٩٣٥ - ٣٩٣٦ وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٣

(٢) سورة العلق آية ٩ ، ١٠

(٣) تفسير الرازى جـ ٢٠ ص ١٥٢

قريش واستحالوه ، وهذه الإستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة أن مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى فى الأقل من ثانية ، وقد برهن فى الكلام أن الأجسام متساوية فى قبول الأعراض ، وأن الله قادر على الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركات السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم - أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات . » (١)

وذكر صاحب المقاصد أن معراج النبى صلى الله عليه وسلم كان يقظة بالجسد إلى المسجد الأقصى بشهادة الكتاب وإجماع القرن الثانى ومن بعدهم ثم إلى السماء بالأحاديث المشهوره والمنكر مبتدع ثم إلى الجنة أو العرش أو طرف العالم على أختلاف الآراء بخبر الواحد ، وقد اشتهر أنه نعت لقريش المسجد الأقصى على ماهو عليه وأخبرهم بحال غيرهم وكان على ماأخبر .. وأيضاً لوكان دعوى النبى صلى الله عليه وسلم المعراج فى المنام أو بالروح لما أنكره الكفرة غاية الإنكار ولم يرتد بعض من أسلم تردداً منه فى صدق النبى صلى الله عليه وسلم . (٢)

وأما ماورد بشأن عائشة أنها قالت والله مافقدت جسد رسول الله وماروى عن معاوية أيضاً أنها كانت رؤيا صالحة . وأجيب عن هذا بأن عائشة كانت صغيرة لم تشاهد ولاحدثت عن النبى صلى الله عليه وسلم . وأما معاوية فقد كان كافراً فى ذلك الوقت غير مشاهد للحال ولم يحدث عن النبى - صلى الله عليه وسلم - (٣)

---

(١) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٥٧٦
(٢) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٢
(٣) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٩٣٦

وقال صاحب المقاصد « وأنت خبير بأنه على تقدير صحة رواية معاوية لايصلح حجة في مقابلة ماورد من الأحاديث وأقوال الصحابة ، وإجماع القرون اللاحقة . » (١)

تأثير هذه المعجزات :

ونلاحظ أن لهذه المعجزات الحسية تأثير واضح في إيمان القوم بالنبي وتصديقه بأنه مرسل من قبل الله ففي معجزة موسى وجدنا تأثيرها واضحاً في إيمان السحرة بموسى وبرسالته ، وذلك لأنهم عندما رأوا العصا قلبت حية تسعى ، وقد ابتلعت حبالهم وعصيهم ، ثم صارت عصا كما كانت ، علموا أن هذا أمر خارج عن حد السحر بل هو أمر إلهي ، استدلوا به على أن موسى نبي صادق من عند الله تعالى .

قال الرازي عند تفسير قوله تعالى « وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون » (٢) وهذه الاية من أعظم الدلائل على فضيلة العلم وذلك لأن أولئك القوم كانوا عالمين بحقيقة السحر واقفين على منتهاه ، فلما كانوا كذلك ووجدوا معجزة موسى عليه السلام خارجة عن حد السحر ، علموا أنه من المعجزات الإلهية لامن جنس التمويهات البشرية ، ولو أنهم ماكانوا كاملين في علم السحر لما قدروا على ذلك الإستدلال ، لأنهم كانوا يقولون لعله أكمل منا في علم السحر فقدر على ماعجزنا عنه ، فثبت أنهم كانوا كاملين في علم السحر فلأجل كمالهم في ذلك العلم إنتقلوا من الكفر إلى الإيمان . » (٣)

وكذلك نجد أن معجزات الرسول الحسية قد أثرت في القوم الذين بعث فيهم فأمن

---

(١) التفتازاني : شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٤٢

(٢) سورة الأعراف الآيات ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

(٣) تفسير الرازي جـ ١٤ ص ٢١٤

بعضهم عندما شاهدها ، فمن ذلك مثلاً الأعرابى عندما رأى الشجرة تشق الأرض ملبية دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، فآمن ، بالنبى صلى الله عليه وسلم وبرسالته ٠

وكفر بعضهم ، من ذلك كفار قريش ، عندما شاهدوا معجزة إنشقاق القمر ، اعرضوا عن النبى وكفروا به ، وقالوا كما حكى عنهم القرآن الكريم « أقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ٠ » (١)

ثانيا : المعجزات التاريخية :

أى إخبار القرآن الكريم بحوادث التاريخ فى الماضى والمستقبل ، ففى الماضى مثل اخباره عن نوح عليه السلام فقال تعالى « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر أن العاقبة للمتقين ٠ » (٢)

واخباره عن يوسف عليه السلام قال : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذا أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » (٣)

واخباره عن موسى عليه السلام فقال عز من قائل « وماكنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين » (٤)

قال الحافظ ابن كثير « يعنى ماكنت يامحمد بجانب الجبل الغربى الذى كلم الله موسى من الشجرة التى هى شرقية على شاطىء الوادى » وماكنت من الشاهدين « لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدها

---

(١) سورة القمر آية ١ ، ٢

(٢) سورة هود آية ٤٩

(٣) سورة يوسف آية ١٠٢

(٤) القصص آية ٤٤

وبسوا حجج الله عليهم وما أوحاه الله إلى الأنبياء السابقين . » (١)

ومثل اخبار الله تعالى عن عيسى عليه السلام فقال « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون . » (٢)

يقول القرطبى « قوله تعالى ذلك من أنباء الغيب » أي الذى ذكرنا من حديث زكريا ويحى ومريم عليهم السلام من أخبار الغيب « نوحيه إليك » فيه دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم ولم يكن قرأ الكتب وأخبر عن ذلك وصدقه أهل الكتاب بذلك . » (٣)

ومثل إخبار القرآن عن حوادث المستقبل قوله تعالى « الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . » (٤)

وفى هذا دلالة واضحة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - يقول القرطبى فى تفسيره لهذه الآية « .... وكان فى هذا الإخبار دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الروم غلبتها فارس فأخبر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذى أخبر الله عز وجل به مما لم يكن علموه . » (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٩١

(٢) سورة آل عمران آية ٤٤

(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ١٤٣٥

(٤) سورة الروم الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

(٥) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٥٢٦١

وهكذا نرى أن أخبار القرآن عن حوادث الماضى والمستقبل ، واعلام الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأخبار الأنبياء السابقين مع أممهم من اعجاز القرآن الكريم الذى اختص به دون سائر الكتب السماوية .

ثالثاً: المعجزات المعنوية

وتتمثل فى القرآن الكريم الذى أنزل على النبى الأمى فى وسط قوم هم أهل الفصاحة والبيان فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا قال الواحدى عند تفسير قــوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله أن كنتم صادقين » (١)

قال المفسرون « ومعنى الآية أن الله تعالى لما احتج عليهم فى إثبات توحيده ، احتج عليهم أيضاً فى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بما قطع عذرهم ؛ فقال « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » أى فى شك من صدق هذا الكتاب الذى أنزلناه على محمد ؛ وقلتم لاندرى هل هو من عند الله أم لا ؟ قال « فأتوا بسورة من مثله » أى من مثل القرآن كقوله « فـيأتوا بحديث مثله » (٢)

وقوله « فأتوا بسورة مثله » (٣) وقوله « ولايأتون بمثله » (٤) كل ذلك يريد به مثل القرآن . فالمعنى : فأتوا بسورة مثل ماأتى به محمد صلى الله عليه وسلم فى الإعجاز وحسن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣

(٢) سورة الطور آية ٣٤

(٣) سورة يونس آية ٣٨

(٤) سورة الإسراء آية ٨٨

النظم ، والأخبار عما كان ، وعما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الأخبار . (١)

وقد بين الإمام الرازى فى تفسيره لنفس الآية أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على معجزة القرآن الكريم . فقال « واعلم أن كونه معجزاً يمكن بيانه من طريقين :

الطريق الأول: أن يقال إن هذا القرآن لايخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة : إما أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء ، أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لاينقض العادة أو زائداً عليه بقدر ينقض ، والقسمان الأولان باطلان فتعين الثالث ، وإنما قلنا أنهما باطلان ، لأنه لوكان كذلك لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين أو منفردين ، فإن وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون الشبهة وذلك نهاية فى الإحتجاج لأنهم كانوا فى معرفة اللغة والإطلاع على قوانين الفصاحة فى الغاية . وكانوا فى محبة إبطال أمره فى الغاية حتي بذلوا النفوس والأموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن ، وكانوا فى الحمية والأنفة على حد لايقبلون الحق فكيف الباطل ، وكل ذلك يجب الإتيان بما يقدح فى قوله والمعارضة أقوى القوادح ، فلما لم يأتوا بها علمنا عجزهم عنها فثبت أن القرآن لايماثل قولهم ، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً ، فهو إذن تفاوت ناقض للعادة فوجب أن يكون معجزاً .

والطريق الثانى: أن نقول القرآن لايخلو إما أن يقال إنه كان بالغاً فى الفصاحة إلى حد الإعجاز ، أو لم يكن كذلك . فإن كان الأول ثبت أنه معجز وإن كان الثانى كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة مع توفر دواعيهم على الإتيان بها أمر خارق للعادة

---

(١) الواحدى : تفسير الوسيط جـ ١ ص ٥٨

فكان ذلك معجزاً ، فثبت أن القرآن معجز وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب ٠ (١)

والذى يدل على كون القرآن معجزاً ما أشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الإيجاز والإطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولايخل بالمقصود الأول ، وأنه فارقت أساليبه الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه ، واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد ابن المغيرة فى وصف القرآن والله أن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة وأن أصله لمغدق وأن أعلاه لمثمر ٠ (٢)

فالقرآن الكريم هو المعجزة الباقية للنبى صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، ومعجزة كلى نبى من الأنبياء أنقرضت بإنقراضه أو دخلها التحريف والتعبير ، وذلك [مثل التوراة والإنجيل] ٠

يقول البغدادى « والقرآن الكريم أفضل المعجزات من وجهين :

الأول: بقاؤه بعد وفاته ، ومعجزات غيره لم تبق بعد وفات أصحابها ٠

والثانى: استنباط جميع أحكام الشريعة منه ولايُستنبط من معجزة غيره حكم الشريعة ٠ » (٣)

وقد بين صاحب المواقف الدليل على كون القرآن الكريم هو معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قائلا : « وكونه معجزاً أن نقول

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢ ص ١٢٦ – ١٢٧

(٢) تفسير الخازن جـ ١ ص ٣٤

(٣) اصول الدين ص ١٨٣

تحدى به ولم يعارض فكان معجزاً أما أنه تحدى به فقد تواتر بحيث لم يبق فيه شبهة وآيات التحدى كثيرة – سبق ذكرها – وأما أنه لم يعارض فلأنه لو عورض لتواتر لأنه مما توافرت الدواعى إلى نقله ، لاسيما والخصوم أكثر عدداً من حصى البطحاء وأحرص الناس على أشاعة مايبطل دعواه . » (١)

تأثيره: وقد أثر القرآن الكريم فور سماعه فى أهل مكة ببلاغته وفصاحته ، فقد خروا أمام فصاحته ساجدين ، وذلك لأنهم أرباب البلاغة والبيان ، فمنهم من آمن به وصدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به .

يقول أستاذنا الدكتور / عبدالله يوسف الشاذلى « وجاء فى روايات إسلام عمر أن السبب الرئيسى فى إسلامه هو سماعه القرآن فى بيت أخته أو خلف إستار الكعبة ، والنبى قائم يصلى ، وعندما استمع عمر إلى القرآن قال « فجعلت أعجب من تأليف القرآن » وفى رواية « فسمعت شيئاً لم أسمع مثله فوقع فى قلبى الإسلام ».

الكرامة :

أما الكرامة فهى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوب بصحيح الإعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم . (٢)

وقد ذهب جمهور أهل السنة إلى أن الكرامة جائزة عقلا وواردة سمعاً ، يقول الرمام الشهرستانى « وأما كرامات الأولياء فجائز عقلا ووارد سمعاً . » (٣)

أما الدليل العقلى على جواز وقوع الكرامة فهو « أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل

---

(١) شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٤٣ – ٢٤٤

(٢) شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٨٣

(٣) نهاية الأقدام ص ٤٩٧

لايؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدوراً لله سبحانه ، فلا شى يمنع جوازّ حصوله . » (١)

أما الدليل النقلى على جواز كرامات الأولياء هو مّاورد فى القرآن الكريم من قصة بلقيس وقول ذلك الولى « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ... » (٢) وقوله تعالى فى صفة مريم « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً » (٣) وقوله تعالى «وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً» (٤) وكان فى غير أوان الرطب .

أو لم تكن قصة أم موسى ومريم أم عيسى عليه السلام وماظهر لهما من الخوارق من القاء موسى فى أليم كرامة لها ورزق الشتاء فى الصيف ورزق الصيف فى الشتاء وظهور النخلة فى الصحراء من أعظم الكرامات لمريم عليها السلام وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ، ومن ذلك قصة ذى القرنين وتمكينه سبحانه له مالم يمكن لغيره ، ومن ذلك ماظهر على يد الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار . (٥)

وأما الأحاديث الواردة فى الدلالة على ثبوت الكرامات ، فمن ذلك ماخرجه الإمام البخارى من حديث أبى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله علية وسلم عشرة عيناً

---

(١) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٦٦٠ تحقيق د . عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف

(٢) سورة النحل آية ٤٠

(٣) سورة آل عمران آية ٢٧

(٤) سورة مريم آية ٢٥

(٥) الرسالة القشرية جـ ٢ ص ٦٦٧ ، وتفسير القرطبى جـ ٦ ص ٤١٩٧ ونهاية الأقدام ص ٤٩٧

وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم بن عمر بن الخطاب حتى إذا كانوا بالهدة بين عُسْفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لانقتل منكم أحداً فقال عاصم ابن ثابت أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال : اللهم أخبر عنا نبيك صلى الله علية وسلم فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خُبيب وزيد بن الدَّثِنَة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لى بهؤلاء أسوة يريد القتلى فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فانطلق بخُبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستجد بها فأعارته فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخدة والموسى بيدة قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال أتخشين أن أقتله ماكنت لأفعل ذلك قالت والله مارأيت أسيراً قط خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفا من عنب فى يده وإنه لوثق بالحديد ومابمكة من ثمرة وكانت تقول إنه لرزق رزقه الله خبيباً . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصلى ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولاتبق منهم أحداً . ثم أنشأ يقول :

فلست أبالى حين أُقْتَلُ مسلماً ××× على أى جنب كان لله مصرعى ٠

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ××× يبارك على أوصال شلوٍ مُمزَّع ٠

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب هو الذى سَنَّ لكل مسلم قتل صبرا الصلاة وأجبر أصحابه يوم أصيبوا خبرهم . وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدثوا أنه قتل يؤتوا بشىء منه يعرف وكان قتل رجلا عظيما من عظمائهم فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدَّبْرِ فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً ٠ (١)

وقال ابن إسحاق فى هذه القصة : وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وقد كانت نذرت حين أصاب أبنيها بأحد لإن قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر فمنعهم الدَّبْرُ فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه حتى يمس فتذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله تعالى الوادى فاحتمل عاصماً فذهب وقد كان عاصم أعطى الله تعالى عهداً ألا يمس مشركا ولايمسه مشرك أبداً فى حياته ، فمنعه الله تعالى بعد وفاته مما امتنع منه فى حياته ٠

وعن عمرو بن أمية الضحرى : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده فقال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته ، فوقع فى الأرض ، ثم أقتحمت فانتبذت قليلا ، ثم التفت فكأنما ابتلعته الأرض ٠ (٢)

كرامة الولى معجزة للنبى :

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى جـ ٣ ص ٨ - ٩ كتاب المغازى باب فضل من شهد بدراً

(٢) تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٤٢٠٠

يرى أهل السنة أن كل كرامة للولى فهى معجزة للنبى يقول الشهرستانى « واعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولى فهى بعينها معجزة لنبى ، إذا كان الولى فى معاملاته تابعاً لذلك النبى وكل مايظهر فى حقه فهو دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته فلا تكون الكرامة قط قادحة فى المعجزات بل هى مؤيدة لها دالة عليها راجعة عنها وعائدة إليها » (١)

ويؤكد ابن تيمية هذا المعنى بقوله « أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لايخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ماهو من جنس ماجرى للأنبياء كما صارت النار برداً وسلاماً على أبى مسلم ، كما صارت على إبراهيم وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين كما جرى فى بعض المواطن للنبى أو احياء الله ميتاً لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء ، فهذه الأمور هى مؤكدة لآيات الأنبياء وهى أيضا من معجزاتهم بمنزلة ماتقدمهم من آلأرهاص ، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط الى مثل معجزات المرسلين . » (٢)

ثم إن ظهور الكرامة على يد الولى لايدل على أنه معصوم بخلاف الأنبياء فإن العصمة واجبة لهم . ويقرر ابن تيمية هذا المعنى بقوله « وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذى جاء به الرسول ، لاتدل على أن الولى معصوم ولا على أنه يجب طاعته فى كل

---

(١) نهاية الإقدام ص ٤٩٧ – ٤٩٨

(٢) النبوات ص ٤

مايقوله ، ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم ، فإن الحواريين وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء فصاروا يوجبون موافقتهم فى كل مايقولون وهذا غلط فإن النبى وجب قبول كل مايقول لكونه نبيا ادعى النبوة ودلت المعجزة على صدقه والنبى معصوم وهنا المعجزة مادلت على النبوة بل على متابعة النبى وصحة دين النبى فلا يلزم أن يكون هذا التابع معصوما . » (١)

الفرق بين المعجزة والكرامة :

وإذا كانت المعجزة أمرا خارقا للعادة والكرامة أيضا أمر خارق للعادة فكيف نميز إذن بين المعجزة والكرامة . وللإجابة على هذا السؤال نرى البغدادى يقول « أن الفرق بين المعجزة والكرامة من وجهين : الأول تسمية مايدل على صدق الأنبياء معجزة ، وتسمية مايظهر على الأولياء كرامة للتميز بينهما ، والوجه الثانى : أن صاحب المعجزة لايكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ، ويقول إن لم تصدقونى فعارضونى بمثلها ، وصاحب الكرامة يجتهد فى كتمانها ولايدعى فيها ... (٢)

يقول الشيخ رشيد رضا « والأصل فى الكرامة الإخفاء والكتمان وكثيرا مايكون ظهورها فتنة للناس ، وماكان أهلها يظهرون مالهم كسب فيه منها كالمكاشفة إلا لضرورة ، وقد صرح بهذا محققو العلماء والصوفية فهو متفق عليه بينهم ، خلافا للمشهور بين العامه ممن جهلوا أصول الإسلام المحكمة وعقائده الراسخة . » (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٥

(٢) أصول الدين ص١٧٤

(٣) الوحى المحمدى : محمد رشيد رضا ص ٢١٢ طبعه المكتب الإسلامى بيروت لبنان سنه ١٩٧٩

والأدب الصوفى الرفيع يوصى بأن يكتم الولى ماجرى على يده من الكرامة حسماً للفتنة ودفعا للإغترار على أن الكرامة إن جرت حقا فإنما هى مسوقة للولى وحده لا لأحد غيره . وهو نفسه يعجز فى كثير من الأحيان أن يظهرها لأنها لم تجر على يده لإعلان الشهرة أو رغبة التحدى . (١)

ثم يبين القشيرى الفرق بين المعجزة والكرامة فيقول « للمعجزات دلالات الصدق ، ثم إن إدعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته وأن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حالته فتسمى كرامة ، ولاتسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق . » (٢)

ويرى القرطبى فى الفرق بين المعجزة والكرامة ، أن الكرامة من شرطها الإستتار ، والمعجزة من شرطها الإظهار ، وقيل الكرامة ماتظهر من غير دعوى ، والمعجزة ماتظهر عند دعوى الأنبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر أثر ذلك . (٣)

ثم إن الكرامة قد تكون طرفاً من ذيول المعجزة ومجرد مشابهة بعيدة لها فى المظهر تساق لترغيب الولى فى سلوكة أو استجابة لسؤاله وحاجته عند اضطراره ، ولكن المعجزة فوق ذلك كله إذ هى حجة على صدق الرسول وأمر من تحدى الله للناس يعجز القوى ويبهر العقول . (٤)

---

(١) بين الشريعة والحقيقة ص ١٢٢ -١٢٣ تأليف عبد العزيز الأهل طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٢٣٣

(٢) الرسالة القشيرية ص ٦٦١

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٤١٩٩ للقرطبى

(٤) بين الشريعة والحقيقة ص ١٢٦ . عبد العزيز الأهل

ونخلص من العرض السابق إلى هذه النتيجة وهى أنه لا لبس بين المعجزة والكرامة ، إذ المعجزة مدارها على دعوى النبى للنبوة وتحدى المعاندين لدعوة الحق ، وعدم استطاعتهم الإتيان بالمعجزة أو معارضتها ، وفى الكرامة لايدعى الولى شيئاً من ذلك ، وفوق ذلك كله فأن « صاحب المعجزة مأمون التبديل بعد ظهور المعجزة عليه وصاحب الكرامة لايؤمن تبدل حاله . » (١)

إنكار الكرامة :

وأما جمهور المعتزلة وأبو عبدالله الحليمى من أهل السنة فقد أنكروا الكرامة على الأولياء ، واستدلوا على ذلك بأنه لو ظهرت الخوارق من الأولياء لإلتبس النبى بغير النبى لأن الخارق إنما هو المعجزة ، وبأنها لو ظهرت على أيديهم لكثرت بكثرتهم ، وخرجت عن كونها خارقة للعادة والغرض أنها كذلك . (٢)

وشرح الماتريدية أسباب إنكار المعتزلة لكرامة الأولياء فقالوا « لأنهم ظنوا أن ذلك لوجاز لإنسد طريق الوصول إلى معرفة النبى ، والرسول ولأن الفائدة فى ظهورها منعدمة ، بخلاف المعجزة ، فإن الحاجة إلى معرفة النبى من المتنبى ماسة ، ولاحاجة إلى معرفة الولى من غيره ، إذ ليس فيه تكليف الإعتقاد بولايته . » (٣) وفى إنكار المعتزلة للكرامة مصادمة لما هو معلوم من القرآن والسنة النبوية .

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ١٧٥

(٢) شرح البيجورى على جوهرة التوحيد ص ١٨٥

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد للأمام أبى لمعين النسفى ص ٢٥٢ تحقيق جيب الله حسن أحمد ، دار الطباعه المحمدية

× المعجزة والسحر :

بعد أن بينا حقيقة المعجزة والفرق بينها وبين الكرامة نرى أنه من الواجب علينا أن نفرق أيضا بين المعجزة والسحر وقبل أن نفرق بينهما لابد من بيان حقيقة السحر أولاً :

فنجد العلماء قد عرفوة بعدة تعريفات .

قال الامام الاشعري: « واختلفوا فى السحر فقالت المعتزلة وغيرهم من أهل الاسلام السحر هو التمويه والإحتيال ، وليس يجوز أن يبلغ الساحر بسحره أن يقلب الأعيان ولا أن يحدث شيئا لايقدر غيره على إحداثه - وقال قائلون يجوز أن يقلب الساحر بسحره الانسان حماراً وأن تذهب المردة إلى الهند فى ليلة وترجع . وقال قائلون : السحر ليس على قلب الأعيان ، ولكنه أخذ بالعيون كنحو مايفعله الإنسان مما يتوهمه المتوهم على خلاف حقيقته . » (١)

وقد عرفه الامام الرازى بقوله « أعلم أن لفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله » (٢)

وقال ابن خلدون عن السحر والطلسمات « هى علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات فى عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية الأول السحر والثانى الطلسمات . » (٣)

---

(١) مقالات الإسلاميينجـ ٢ ص ١٢٩

(٢) مفاتيح الغيب ص ٢٨٠ المجلد الثانى جـ ٢

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٣ - ٤٣٤

وقد عرفه الشيخ ابن عرفه قائلاً « أمر خارق للعادة يطرد الإرتباط بسبب خاص به ٠ » (١)

من خلال هذه التعريفات نرى أن بعض العلماء قد ذهب إلى أن السحر خداع وتخييل وهؤلاء هم المعتزلة حيث قالوا : إن السحر ليس إلا خيالات وتمويه وخداع ولايصل الساحر البتة إلى قلب حقيقه أو عين من الأعيان ٠

وقد أشار القرطبى إلى ذلك فقال « إن السحر عند المعتزلة خداع لا أصل له ، وعند الشافعى وسوسة وأمراض ٠ » (٢)

وذكر الرازى فى تفسيره أن المعتزلة أنكروا وجود السحر ، قال وربما كفروا من اعتقد وجوده ، وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير فى الهواء ويقلب الإنسان حماراً والحمار إنساناً إلا أنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة . فأما أن يكون المؤثر فى ذلك الفلك والنجوم فلا ٠ » (٣)

الدليل على ثبوت السحر :

وذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة بدليل النقل والعقل ، أما الدليل النقلى فقوله تعالى « واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » (٤)

---

(١) السنوسية الكبرى ص ٤٢٦

(٢) تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٤١

(٣) تفسير الرازى جـ ٣ ص ٢٩٠ م ٣

(٤) سورة البقرة آية ١٠٢

قال القرطبي « فقد جاء في هذه الآية ذكر السحر وتعليمه ، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر الله أنهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة . » (١) وقوله تعالى في قصة سحر فرعون « وجاءوا بسحر عظيم » (٢) وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ماكان من سحر لبيد بن الأعصم وهو ماخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت :سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم الحديث وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر « إن الله شفاني » والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض ، فدل على أن له حقا وحقيقة ، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه . (٣)

أما الدليل العقلي على ثبوت السحر :

فهو أن يظهر على يد الساحر من خرق العادات بما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر . (٤)

أما ما احتج به المعتزلة على أن السحر تمويه وتحييل مثل قوله تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » (٥) ولم يقل تسعى على الحقيقة ولكن قال يخيل إليه . وقال أيضا « سحروا أعين الناس » (٦)

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١ ص ٥٤٣

(٢) الإعراف آية ١١٦

(٣) تفسير القرطبي جـ ١ص ٥٤٣

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٥٤٣

(٥) سورة طة آية ٦٦

(٦) سورة الإعراف آية ١١٦

فهذا لاحجة فيه ، لأننا لاننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة السحر ٠ (١)

الفرق بين المعجزة والسحر :

أما الفرق بين المعجزة والسحر فقد ذكر العلماء عدة فروق . فقد ذكر العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى عدة فروق بين المعجزة والسحر وسماه مخرقة فقال « وبين المخرقة والمعجزة فروق كثيره نذكر منها **أولاً :** أن المخرقة لابقاء لها كعصى سحرة فرعون أما المعجزة فباقية كعصى موسى ٠

ثانيا : أن المخرقة لاحقيقه لها ولا معنى لأن بناءها على الآلات والحيل ، أما المعجزة فبناؤها على منح الله وفضله ، فهى هبة منه ومنة لا آلة لها ولاحيلة فيها ٠

ثالثا : إن المخرقة يعجز عن مثلها العوام وأما الحذاق والأذكياء فلا يعجزون عن إدراكها وإمكان معارضتها ، أما المعجزة فالخواص والعوام على درجة واحدة فى العجز عنها ٠

رابعاً : إن المخرقة متداولة بين الناس فى جميع الأزمان غير مختصة بوقت دون وقت ، أما المعجزة فمختصة بزمان النبوة خارجة عن العرف خارقة للعادة ٠

خامساً : إن المخرقة يمكن نقضها ، ومعارضتها بأضدادها أما المعجزة فلا سبيل لأحد أن ينقضها أو يعارضها ولانظير لها ٠ (٢)

ثم يرى الإمام الشعرانى فى الفرق بين المعجزة والسحر أن المعجزة تبقى هى وأثرها بعد النبى زمانا ، والسحر سريع الزوال ، والمعجزة إنما يظهرها النبى على رؤس

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٥٤٣

(٢) بصائر ذوى التمييز فى الطائف الكتاب العزيز جـ ١ ص ٦٥

الأشهاد وعظماء البلاد ، فهى حجة الله على العباد والسحر إنما يروج له أمره على الصغار ، وضعفاء العقول ، وجهلة الناس وأرازلهم . (١)

وقال السنوسى فى بيان الفرق بين المعجزة والسحر « المعجزة فعل خارق للعادة لاارتباط له بسبب ، أما السحر ففعل عادى له سبب مرتبط به . » (٢)

ويذكر الأمام القرطبى الفرق بين المعجزة والسحر فيقول « السحر يوجد من الساحر وغيره ، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به فى وقت واحد ، والمعجزة لايمكن الله أحد أن يأتى بمثلها وبمعارضتها ، ثم الساحر لم يدع النبوة فالذى يصدر منه متميز عن المعجزة فأن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدى بها . » (٣)

ثم أن المعجزة مددها من الله والقوى الإلهية ، ولايعارضها السحر والمعجزة تعتمد على التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ماادعاه النبى ، والساحر بعيد عن التحدى فلا يقع منه .

والمعجزة مؤيدة بروح الله على فعل النبى تبعث فى النفس التأثير والساحر يفعل من لدن نفسه بأمداد الشياطين فبينهما الفرق فى المعقولية ، والحقيقة والذات فى نفس الأمر.

والمعجزة تأتى من الله لصاحب الخير من أجل مقاصد الخير فى الناس والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر يأتى من الساحر لصاحب الشر فى أفعال الشر فى

---

(١) اليواقيت والجواهر جـ ١ ص ١٦١
(٢) السنوسية الكبرى ص ٤٤٦
(٣) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٥٤٤

الغالب .(١)

فالسحر لايظهر إلا على يد فاسق خارج عن تعاليم الدين الحنيف .

ويقول بعض المتكلمين : ان السحر من خوارق العادات وأن الفرق بينه وبين المعجزات إنما هو فى اختلاف حال من تصدر الخوارق على أيديهم ، لافى كون آيات الأنبياء حق وكون السحر باطلاً ، والاية تبطل هذا القول ولاتقوم الحجة بها عليه إذ يكون معنى دفع المشركين حينئذ ماهذا الكتاب الذى نزل على الوجه الذي اقترحنا إلا خارقة من خوارق العادات لاريب فيها ، ولكنها صدرت على يد ساحر فهى إذاً من السحر ، لا على يد من ادعى النبوة حتى تسمى آية أو معجزة فيكون حاصله الطعن فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم وأنكار ادعائه النبوة . وهذا المعنى مخالف للواقع على كون الآية تتبرأ الدعوة منها .... ولعله لم يخطر على بال أحد يفهم العربية وأن كان من شيعة ذلك المذهب الكلامى الذى فسر السحر بما ذكر خلافاً لظواهر الكتاب والسنة . فقد نص القرآن على أن السحر تخييل لما ليس واقعاً . وأنه كيد ومكر . وأنه يتعلم تعلماً ، والخوارق لاتكون بالتعليم . (٢)

وخلاصة القول أن السحر ليس أمرا خارقا للعادة حتى يتصور دخوله نطاق الخوارق السماوية ، وإنما هو صنعة بشرية يوهم النفس بتخيل الباطل حقا ، فمنزعة التعلم من الشياطين لنشر الشر فى الناس وليس السحر من فعل الله عز وجل ، ولا علاقة له بالمعجزة من قريب ولا من بعيد .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٢) جهود الإمام محمد رشيد رضا فى خدمة السنة ص ٢٧٠ د. يوسف عبد المقصود ابراهيم الطبعة الأولى سنه ١٣١٤هـ سنه ١٩٩٤ م مطبعة دار التأليف

ويباح تعلم السحر يقول الرازى « اتفق المحققون على أن ذلك العلم لذاته شريف وأيضاً لعموم قوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » (١)

ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب ومايتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً . » (٢)

فالسحر اذن أمر خارق للعادة صادر من نفس شريرة لاتتعذر معارضته ، والفرق العام بين المعجزة والكرامة والسحر هو أن المعجزة تمتاز بالتحدى والكرامة تقع لصاحبها غالباً بطريق الإتفاق ولايتحدى وأما السحر فيكون بمعاناة حتى يتم للساحر مايريده (٣)

حد الساحر :

وحد الساحر ضرب عنقه لما رواه الشافعى وأحمد بن حنبل قالا أخبرنا سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجلة بن عبده يقول كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « حد الساحر ضربة بالسيف» (٤) لأنه كفر بالله تعالى .

---

(١) سورة الزمر آية ٩

(٢) تفسير الرازى جـ ٣ م ٢ ص ٢٩٢

(٣) ارشاد السارى بشرح صحيح البخارى لقسطلانى جـ ٨ ص ٣٢

(٤) الحافظ أبن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٤٤

وقد ذهب الحافظ الذهبى الى القول بكفره فقال « الساحر لابد أن يكفر . » (١) قال تعالى « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس لسحر » (٢) .

---

(١) الكبائر ص ٢٥ – ٢٦ تحقيق محمد على قطب دار السيرة بيروت الطبعة الأولى سنه ١٩٨٧م

(٢) البقرة آية ١٠٢

الفصل الخامس

وجوه إعجاز القرآن الكريم :-

ونقصد بوجوه الأعجاز الأمور التى اشتمل عليها القرآن الكريم وهى تدل على أنه من عند الله ، وماكان فى إستطاعة أحد أن يأتي بمثله .

يقول الإمام الباقلانى « ذكر أصحابنا وغيرهم فى ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدهما: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لايقدر عليه البشر ولاسبيل لهم إليه.

فمن ذلك ماوعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (١) ففعل ذلك .

وقال عز وجل « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » (٢) فصدق فيه ، وقال فى أهل بدر « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » (٣) وجميع الآيات التى يتضمنها القرآن من الأخبار عن الغيوب يكثر جدا وأنما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل .

والوجه الثانى: أنه كان معلوما من حال النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا يكتب ولايحسن أن يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أتى بجملة ماوقع وحدث من عظيمات الأمور ، ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه فذكر فى

---

(١) التوبة آية ٣٣

(٢) آل عمران آية ١٢

(٣) الأنفال آية ٧

الكتاب الذى جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وماصار اليه أمره من الخروج من الجنة ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته ، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وماكان بينه وبين قومه وما أنتهى إليه أمره ، وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين فى القرآن الكريم ، والملوك والفراعنة الذين كانوا فى أيام الأنبياء صلوات الله عليهم ٠ (١)

ثم يقول الباقلانى « ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لاسبيل إليه إلا عن تعلم ، وإذا كان معروفا أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحملة الأخبار ولامترددا إلى التعلم منهم ولاكان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم أنه لايصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحى » (٢) ولذلك قال عز وجل « وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذاً لإرتباب المبظلون » (٣) وقال « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست » (٤)

الوجه الثالث: أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه ، والذى أطلقه العلماء هو على هذه الجملة (٥)

وقد حصر القاضى عياض أوجه اعجاز القرآن فى أربعة :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته الخارقة لما عند العرب . وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام ٠

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٦١ - ٦٢ طبعة أولى مطبعة صبيح سنه ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م
(٢) المصدر السابق ص ٦٢
(٣) العنكبوت آية ٤٨
(٤) الأنعام آية ١٥٠
(٥) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٦٢

وثانيها: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفته عند مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولابعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ٠

وثالثها: ماانطوى عليه من الأخبار بالمغيبات ومالم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » (١)

وكقوله «غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين» (٢) إلى آخر ذلك من الأمور المغيبة التى أخبر القرآن عنها قبل وقوعها ، فوقعت كما أخبر ٠

ورابعها: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البادئة ، والشرا ع الدائرة مما كان لايعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله عليه السلام لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمى لايقرأ ولا اشتغل بمدارسة ٠ (٣)

هذا ماذكره القاضى عياض فى وجوه الإعجاز ، ونجد الأمرين الأولين متعلقان بالناحية البيانية فى القرآن وإن كان أولهما يتعلق بتأليف كلماته ، وتناسقها مع فصاحتها وسلامتها وخلوها من الحواشى . والثانى بصورة النظم ومع تخالف حقيقتهما نجد كلا منهما ينتهى إلى الناحية البيانية ٠

---

(١) الفتح آية ٢٧

(٢) الروم آية ٢ ، ٣

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ص ٢٥٨، ومابعدها . جـ ١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان

وقد ذكر الإمام القرطبى فى تفسيرة أن أوجه إعجاز القرآن عشرة :

أحدهما : النظم البديع المخالف لكل نظم معهود فى لسان العرب وفى غيرها لأن نظمه ليس من نظم الشعر فى شىء ، وكذلك قال رب العزة الذى تولى نظمه « وما علمناه الشعر وماينبغى له » (١) ... وكذلك أقر عتبة أنه ليس بسحر ولاشعر لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حم » فصلت ، فإذا اعترف عتبه على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة بأنه ماسمع مثل القرآن قط كان فى هذا القول مقرا بإعجاز لقرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحه والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه ٠

وثانيها : الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب ٠

وثالثها : الجزالة التى لايصح من مخلوق بحال ، وتأمل ذلك فى سورة « ق والقرآن المجيد » إلى آخرها وقوله سبحانه « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (٢) إلى آخر السورة وكذلك قوله سبحانه « ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » (٣) إلى آخر السورة ٠

وهذه الأمور الثلاثة كما نقل القرطبى عن ابن الحصار من النظم والجزالة لازمة فى كل سورة ، بل هى لازمة فى كل آية ، وبمجموع هذه الثلاثه يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر ؛ وبها وقع التحدى والتعجيز ٠

ورابعها : الإخبار عن الأمور التى تقدمت فى أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمى ماكان

---

(١) سورة يس آية ٦٩

(٢) سورة الزمر آية ٦٧

(٣) سورة إبراهيم آية ٤٢

يتلو من قبله من كتاب ولايخطه بيمينه ، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها ، والقرون الخالية فى دهرها ، وذكر ماسأله أهل الكتاب عنه ، وتحدوة به من قصة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر عليهما السلام ، وحال ذى القرنيين فجاءهم وهو أمى من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته ، فتحققوا صدقه ·

وخامسها: التصرف فى لسان العرب على وجه لايستقل به عربى ، حتى يقع منهم الأتفاق من جميعهم على إصابته فى وضع كل كلمة وحروف موضعه ·

وسادسها: الوفاء بالوعد ، المدرك بالحس فى العيان فى كل ماوعد الله سبحانه وينقسم إلى أخباره المطلقه ، كوعده بنصر رسوله عليه السلام ، واخراج الذين أخرجوه من وطنه (١) وإلى وعد مقيد بشرط كقوله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١)

وسابعها: الأخبار بالمغيبات فى المستقبل التى لايطلع عليها إلا بالوحى ؛ فمن ذلك ماوعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر على الأديان بقوله تعالى « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » ·

وثامنها: ماتضمنه القرآن من العلم الذى هو قوام جميع الأنام فى الحلال والحرام وفى سائر الأحكام ·

وتاسعها: الحكم البالغة التى لم تجر العادة بأن تصدر فى كثرتها وشرفها من آدمى·

وعاشرها: التناسب فى جميع ماتضمنة ظاهرا وباطنا من غير إختلاف (٢) قال تعالى

---

(١) سورة الطلاق آية ٣

(٢) تفسير القرطبى جـ ١ص ١١٩ ومابعدها

« ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه أختلافاً كثيرا » (١)

ومن هذا نرى أن القرطبى قد أتى بوجوه كثيره عدها من إعجاز القرآن ، ثم انتهى إلى أن أعجاز القرآن ذاتى وليس من أمر خارج عنه وتحدى العرب وهم أهل فصاحة وبيان أن يأتوا بمثل القرآن أو باقصر سورة منه فعجزوا فدل ذلك على أنه من عند الله تعالى . وأنه معجزته الخالدة إلى أن يحرث الله الأرض ومن عليها .

ولكن يجب أن يلاحظ فيما أحصاه القاضى عياض والقرطبى أمران :

الأمر الأول : أن الأقسام التى ذكراها يتداخل بعضها فى بعض وأنهما جعلا مايتعلق بالنظم جزء امنه خاصاً بفصاحة القول وجزءا يتعلق بالأسلوب ، وجزءا يتعلق بالجزاله وجزءا يتعلق بالتصرف فى القول ، وكل ذلك يتعلق بالمنهج البيانى القرآنى ، وهذه الكلمة تجمع تلك الأقسام كلها ، فلا تخرج من عمومها خارجه .

والأمر الثانى : أن بعض هذه الوجوه تحدى بها القرآن الكريم فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله ولو عشر سور مفتريات والوجوه الأخرى لم يتحد بها القرآن الكريم ، وإن كانت من عند الله تعالى العليم الحكيم . مثل إخباره عن أمور مغيبة فى المستقبل ، ثم وقوعها كما أخبر الله تعالى فى كتابة .

وأخباره عن الأمم السابقة وأخباره عن شأن عبدالله الصالح مع موسى نبى الله تعالى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومثل قصة أهل الكهف وذى القرنين ، فذكر هذا فى القرآن الذى أنزل على أمى لايقرأ ولايكتب ولم يجلس إلى معلم دليل على أنه من عند الله تعالى .

---

(١) سورة النساء آية ٨٢

ومن هده الأحكام الشرعية التى اشتمل عليها القرآن فإنها لايمكن أن تكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم بل هى من عند الله تعالى .(١)

الصرفة :

عندما عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن عللوا عجزهم بأن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن ، وقد حاولوا بذلك أن يسلبوا عن القرآن صفة الإعجاز الذاتى ، وهذه محاولة بغيضة من أعداء الاسلام للتشكيك فى القرآن الكريم معجزة الاسلام الخالدة .

وللأسف أن بعض علماء الإسلام وفلاسفته قد خدعوا بهذا القول الجديد كما هو دأبهم فإنهم يلهثون وراء كل جديد وافد من الفكر .

البذور الأولى للقول بالصرفة :

عندما اطلع بعض المتفلسفين من علماء الإسلام على أقوال البراهمة فى كتابهم الفيدا وهو الذى يشتمل على مجموعة من الأشعار ليس فى كلام الناس مايمثلها فى زعمهم ، ويقول جمهور علمائهم أن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها ، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها . وفى ذلك يقول البيرونى « إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها ، ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراما لها . » (٢)

وعندما دخلت الأفكار الهندية فى عهد أبى جعفر المنصور ومن والاه من حكام بنى العباسى ، تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار ويركنون إلى الإستغراب فى أقوالهم ،

---

(١) المعجزة الكبرى ص٩٠ – ٩١ للأمام محمد أبى زهرة دار الفكر العربى

(٢) أبو الريحان البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة ص

فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول ، ويطبقوه على القرآن وإن كان لاينطبق ، فقال قائلهم : إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ماكان عجزهم لأمر ذاتي من الفاظه ومعاينه ونسجه ونظمه بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله. (١)

وإن رواج فكرة الصرفة يؤدى إلى أن القرآن الكريم ليس فى درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتى بمثله . (٢)

القائلون بالصرفة :

إن أول من قال بالصرفة هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام فقد زعم أن الله تعالى ماأنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كتاب مثل سائر الكتب المنزلة لبيان أحكام الحلال والحرام ، وأن العرب لم يقوموا بمعارضته لأن الله تعالى صرفهم عن هذه المعارضة . (٣)

وممن نسب إليه القول بالصرفة الشريف المرتضى من الشيعةوفسر الصرفة بأن الله تعالى سلبهم العلوم التى يحتاج إليها فى معارضة القرآن والإتيان بمثله ، ومؤدى كلامه أنهم أوتوا القدرة على المعارضة بما كانوا عليه من بيان وبلاغة وفصاحة ، فهم قادرون على النظم والعبارات ، ولكنهم عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن بسبب أنهم لم يعطوا العلم الذى يستطيعون به محاكاه القرآن فى معناه . (٤)

---

(١) المعجزة الكبرى ص ٧٦

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

(٣) الرازى نهاية الإيجاز فى دراية الأعجاز ص ٥٦ تحقيق د احمد حجازى السقا نشر وتوزيع المكتب الثقافى طبعه أولى بمصر سنه ١٩٨٩ م

(٤) المصدر السابق ص ٧٩

وممن قالوا بالصرفة الفقيه البليغ العنيف المتشدد ابن حزم الأندلسى فقد قال فى كتاب الفصل فى سبب الإعجاز « لم يقل أحد إن كلام الله غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته ثم قال وهذا برهان كان لايحتاج إلى غيره » (١)

أدلة القائلين بالصرفة :

قالوا لقد عرف العرب منذ جاهليتهم بفصاحة الكلمه ولهم فى ذلك القصيد الطويل والنشر البديع والزجر اللطيف والسجع الغريب والمعلقات وقد كانت ندواتهم ومحافلهم وأسواقهم تقام لمعرفة ماتستجد من آفانين القول فكيف يعجزون عن الإتيان بمثل أقصر سور القرآن بمثل سطر واحد لاتتجاوز كلماته العشرة فإن ثبت عجزهم فليس ذاك الإصارفاً صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه بأن سلب منهم العلوم التى يمكنهم معارضه القرآن بواسطتها أو صرفهم عن الإهتمام بالمعارضة ولولا ذلك لأمكنهم الإتيان بمثل القرآن ٠ (٢)

الرد على القائلين بالصرفة :

وهؤلاء مردود عليهم بأدلة سمعية وأخرى عقلية أما الأدلة السمعية هى :

إن القول بالصرفه يسلب عن القرآن اعجازه الذاتى ويجعل المعجزة لهذا الصرف والمنع الذى حال بينهم وبين الإتيان بمثله وهذا مناقض لإجماع الأمة الذى انعقد قبل وجود القائلين بالصرفة على أن أعجاز القرآن ذاتى ٠ (٣)

---

(١) الفصل

(٢) أعجاز القرآن : رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ص ٨٦٢

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ص ١٢٣

ولقد وصف الله تعالى القرآن بأوصاف ذاتية تجعله فى منزلة لاتصل إليها المعجزات الأخرى فكانت هذه توجب أن يكون إعجازه ذاتياً ولقد قال الله تعالى « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا » (١)

فالأمر بالصرفة يسلب هذه الصفات الذاتية عن القرآن ويجعل الأعجازفى المنع الذى حال بينهم وبين الإتيان بمثله ٠

الأدلة العقلية :

إن قول النظام ومن تبعه إن الله صرفهم بصرف الدواعى عن الإهتمام بالمعارضة يكذبه الواقع التاريخى كيف يقال لم يهتموا بأمر القرآن والتوجه لمعارضته ، وهم الذين لم يدخروا وسعاً فى سبيل القضاء على القرآن ومن جاء به هل يقال إن دواعيهم كانت مصروفة عن المعارضة ولم يهتموا بشأن القرآن وهم الذين أوفدوا عتبة بن ربيعة ليفاوض محمداً على ترك سب آلهتهم وتسفية أحلامهم وله مقابل ذلك الملك والمال والجاه والنساء وكل مايرغب ٠

أيقال إن دواعيهم كانت مصروفة عن القرآن وهم الذين وجهوا أشرافهم إلى عم النبى صلى الله عليه وسلم أبى طالب لكى يسلمهم محمدا ليقتلوه ويعطوه بدله فتى من قريش ، فكيف يقال إن دواعيهم لم تتوجه إلى معارضة القرآن ، وهم الذين يئسوا من المفاوضات فقرروا إرسال فتى من كل قبيلة لإغتيال محمد صلى الله عليه وسلم ٠

ثم أن ترك المعارضة بالحرف واللسان واللجوء إلى الضرب والطعن بالسنان من أقوى الأدلة القاطعة على إحساسهم بالعجز المطلق أمام آيات الله ٠

---

(١) سورة الرعد آية ٣١

وعن قول المرتضى ومن شايعه أن الله سلب من العرب العلوم التى يحتاجون إليها فى معارضة القرآن نقول وهل تحطمت علومهم وعقولهم بعد التحدى عما كانت عليه قبل التحدى .

ثم إن الذين ادعوا أن اعجاز القرآن كان بسلب العلوم هؤلاء يثبتون للعرب قدرة هم لم يدعوها لأنفسهم .

يقول الإمام فخر الدين الرازى « إن عجز العرب عن المعارضة لو كان لأن الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن ، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً عليه لهم ، كما أن نبيا لوقال معجزتى أن أضع يدى على رأسى هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ، ويكون الأمر كما زعم ، لم يكن تعجب القوم من وضع يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ، ولما علمنا بالضروروة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسها بطل ماقاله النظام .» (١)

وهذا الذى ذكره الرازى نجده عند أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى المولود عام (٣١٩هـ - ٩٣١م) أى قبل ولادة الرازى باكثر من قرنين من الزمان ، يقول الخطابى فى رسالة بعنوان : بيان إعجاز القرآن « وذهب قوم إلى أن العلة فى اعجازه الصرفة أى صرف الهمم عن المعارضة وأن كانت مقدوراً عليها غير معجوز عنها إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات صار كسائر المعجزات فقالوا : لو كان الله عز وجل بعث نبيا فى زمان النبوات ، وجعل معجزته فى تحريك يده

(١) الرازى : نهاية الإيجاز فى دراية لأعجاز ص ٥ ، ٦

أو مد رجله فى وقت قعوده بين ظهرانى قومه ، ثم قيل له ما آيتك ؟ فقال : آيتى أن أخرج يدى أو أمد رجلى ولايمكن أحد منكم أن يفعل فعلى والقوم أصحاء الأبدان لاآفة بشىء من جوارحهم فحرك يده أو مد رجله فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه كان ذلك آية دالة على صدقه ، وليس ينظر فى المعجزة إلى عظم حجم مايأتى به النبى ولا إلى فخامة منظره ، وإنما تعتبر صحتها بأن تكون أمراً خارجاً عن مجرى العادات ، ناقضاً لها فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها ، وهذا أيضا وجه قريب إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه وهى قوله سبحانه « قل لإن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (١) فأشار فى ذلك إلى أمر طريقة التكلف والإجتهاد ، وسبيله التأهب والإحتشاد والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لايلائم هذه الصفه فدل على أن المراد غيرها ، والله أعلم . » (٢)

ويذكر الرازى اعتراضا آخر على الصرفة فى كتابه نهاية العقول فى دراية الأصول فيقول « إن العرب لوكانوا بحيث متى قصدوا فعل المعارضة افتقدوا العلوم التى لابد منها فيها لوجب أن يعلموا ذلك فى أنفسهم بالضرورة وأن يميزوا بين أوقات المنع وأوقات التخلية ولو علموا ذلك لتذاكروه ولذاع وانتشر . » (٣)

وهذ الإعتراض نجده عند أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى عام

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٨

(٢) انظر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٢٠ ، ٢١ تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام طبعة دار المعارف

(٣) نهاية العقول فى دارية الأصول جـ ٢ورقه ١٢٨ - ١٢٩ مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٧٤٨ توحيد

٤٧١ هـ ١٠٧٨ م أى قبل وفاة الرازى بأكثر من قرن من الزمان ، يقول الجرجانى فى الرسالة الشافية فى فصل تحت عنوان فى الذى يلزم القائلين بالصرفة « ومما يلزمهم على أصل المقالة أنه كان ينبغى له إن كانت العرب منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها أن يعرفوا ذلك من أنفسهم كما قدمت ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك ولكانوا قد قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إنا كنا نستطيع قبل هذا الذى جئتنا به ، ولكنك قد سحرتنا واحتلت فى شىء حال بيننا وبينه ، فقد نسبوه إلى السحر فى كثير من الأمور كما لايخفى ، وكان أقل مايجب فى ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم ، ويشكوه البعض إلى البعض ، ويقولوا مالنا قد نقصنا فى قرائحنا ، وقد حدث كلول فى أذهاننا فبقى إن لم يروا ولم نذكر أنه كان منهم قول فى هذا المعنى ، لا ماقل ولا ماكثر ، دليل أنه قول فاسد ورأى ليس من آراء ذوى الفضل . » (١)

إن تحدى القرآن وإثبات العجز ليس مقتصرا على عهد النبوة فقط بل هذا التحدى قائم وهذا العجز من البشر ثابت إلى يوم القيامة فمن قال بالصرفة فاليحاول هو هل يحس بشىء من الصرف أو السلب فى نفسه .

إن استعظام العرب بفصاحة القرآن وبلاغته وتعجبهم من ذلك لهو دليل على بطلان الصرفة فلو كانوا مصروفين عن المعارضة بنوع من الصرف لكان تعجبهم للصرف لا للبيان المعجز ولو كان هناك سلب علومهم لكان الفرق بين كلامهم بعد التحدى وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدى وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل القول بالصرفة .(٢)

---

(١) انظر ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ١٣٥

(٢) الفوائد المشوق إلي علوم القرآن لإبن القيم مطبعة السعادة ص ٢٥٢

وإن مثل الذين يقولون إن إعجاز القرآن بالصرفة كمثل الذين قالوا إن القرآن سحر يؤثر ٠

وقد أثبت ذلك الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن فقال « وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لايختلف عن قول العرب إن هذا إلا سحر يؤثر ، وهذا زعم رده الله تعالى على أهله وأكذبهم فيه ضربا من العمى « أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون » (١)

وأن التشابه بين القول بالصرفة والقول بأنه سحر أن الإمتناع عن المماثلة فى كليهما من خارج الشىء لا من ذاته فالقول بالصرفه يفيد أن العرب لم يكونوا عاجزين ، ولكن حيل بينهم وبين العمل على المماثلة وكذلك الأمر فى السحر يدهشهم حتى يعجزوا ٠ (٢)

عموم رسالة سيدنا محمد وختمها للرسالات :

كان من رحمة الله بجميع الأمم أن بعث إليهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لهدايتهم وارشادهم إلى مافيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ٠

والدليل على عموم رسالته قوله تعالى « قل ياأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً ... » (٣) قال فخر المفسرين « هذه الاية تدل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى جميع الخلق ، وقالت طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهم أتباع عيسى الأصفهانى . إن محمداً رسول صادق مبعوث إلى العرب ، وغير مبعوث إلى بنى إسرائيل . ودليلنا على إبطال قولهم هذه الاية ، لأن قوله تعالى « يا أيها الناس » خطاب يتناول كل الناس ، ثم قال تعالى « إنى رسول الله اليكم جميعا » وهذا يقتضى كونه

(١) سورة الطور آية ١٥

(٢) المعجزة الكبرى ص ٨٢

(٣) سورة الإعراف آية ١٥٨

مبعوثا إلى جميع الناس . » (١)

وقد كانت رسالته عامة إلى الجن ولانس جميعا والدليل على ذلك : قول الله تعالى « واذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يدية يهدى الى الحق وإلي طريق مستقيم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » (٢)

وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس قال مقاتل : لم يبعث الله تعالى نبيا إلى الجن والإنس قبل محمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

ومما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأيما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة . » (٤)

والدليل على أنه خاتم المرسلين والنبيين من القرآن قول الله تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٥)

يقول الحافظ ابن كثير « وهذه الاية نص فى أنه لانبى بعده ، وإذا كان لانبى بعده فلا

---

(١) تفسير الرازى جـ ١٣ ص ٣١٠ م ٧
(٢) سورة الأحقاف الآيان ٢٩ ، ٣٠ ،٣١
(٣) تفسير القرطبى جـ ٩ ص ٦٢٦٧
(٤) المصدر السابق جـ ٩ ص ٦٢٦٧
(٥) سورة الأحزاب آية ٤٠

رسول بالطريق الأحرى والأولى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبى ولاعكس . »(١)

وبذلك وردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم وضع هذه اللبنة فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة . »(٢)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى . »(٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم « أنا العاقب فلا نبى بعدى . »

من خلال هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نستطيع أن نقرر بأن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم عامة للخلق الجن والإنس جميعاً ، وأنها خاتمة للرسالات السابقة عليها . ودع عنك مايقوله المنكرون والجاحدون بأنها خاصة للعرب وحدهم . فقد ثبتت عموميتها وصلاحيتها لكل الناس فى كل زمان ومكان .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٤٩٣

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٩٣

(٣) نفس المرجع

أهم مراجع البحث

- القرآن الكريم

١- صحيح البخارى .

٢- صحيح مسلم .

٣- سنن الترمذى .

٤- شرح السنة للأمام البغوى .

٥- مسند لأمام أحمد بن حنبل .

٦- الأشعرى : أبو لحسن على بن اسماعيل .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين .

- الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م - مطبعة السعادة .

٧- الألوسى : العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى .

- تفسير روح المعانى - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٨- أبو بكر بن العربى : محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى .

- أحكام القرآن - دار المعرفة - تحقيق على محمد البجاوى .

٩- ابو العز الحنفى : صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى .

- شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية .

- مطابع المختار الإسلامى - تحقيق أحمد محمد شاكر .

١٠- الآلورى : آدم عبدالله الآلورى .

- فلسفة النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن والسنة مكتبة وهبة - دار التوفيق النموذجية

- الطبعة الأولى .

١١- ابراهيم . د/ يوسف عبد المقصود ابراهيم

- جهود الإمام محمد رشيد رضا فى خدمة السنة .

- الطبعة لأولى - مطبعة دار التأليف .

١٢- الآمدى : على بن محمد الآمدى .

- غاية المرام فى علم الكلام . تحقيق حسن محمود عبد اللطيق . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

١٣- الأهل : عبد العزيز الأهل .

- بين الشريعة والحقيقة - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . العدد ٣٣٣ .

١٤- الإيجى : القاضى عبد الرحمن بن أحمد الإيجى .

- شرح المواقف فى علم الكلام - مطبعة الحلبى الطبعة الأولى . ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م

١٥-أبو السعود . محمد بن محمد العمادى .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم الناشر - دار المصحف بالقاهرة .

١٦- ابن تيمية : أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم .

- النبوات - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٧- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .

- المقدمة - مطبوعات عبد السلام محمد شقرون .

١٨- ابن سبنا : الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبدالله ابن سينا .

- النجاة فى الحكمة المنطقية والطبيعية الإلهية .

- منشورات دار الآفاق الجديدة - تحقيق د/ ماجد فخرى .

١٩- ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ٠

- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٠

- تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد ٠

- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م ٠

٢٠- ابن كثير : اسماعيل بن عمر بن كثير ٠

- تفسير القرآن العظيم - مكتبة التراث الإسلامى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ٠

٢١- ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ٠

- لسان لعرب - دار المعارف - بدون تاريخ ٠

٢٢- بن نبى : مالك بن نبى :

- الظاهرة القرآنية ترجمة د/ عبد الصبور شاهين دار الفكر٠

٢٣- الباقلانى : أبو بكر بن الطيب الباقلانى ٠

- إعجاز القرآن - شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجى ٠

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ٠

- تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ٠

٢٤- البيجورى : شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البيجورى ٠

- تحفة المريد على جوهرة لتوحيد ٠ طبع المعاهد الأزهرية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ٠

٢٥- البغدادى : أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر التميمى ٠

- اصول الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٠

- الفرق بين الفرق ٠ تحقيق طه عبد الرءوف سعد الناشر مؤسسة الحلبى ٠

٢٦- البيضاوى : ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر البيضاوى ٠
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - مطبعة الحلبى - الطبعة الثانية - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م ٠
٢٧- البيهقى : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ٠
- دلائل النبوة ٠ تحقيق د/ عبد المعطى قلعجى ٠
٢٨- التفتازانى : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله ٠
- شرح المقاصد فى علم الكلام ٠
٢٩- الجوينى : إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبدالله ابن يوسف ٠
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد ٠
- تحقيق د/ محمد يوسف موسى وآخر . الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - مطبعة السعادة . ١٩٥٠ م ٠
- العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية ٠
- تحقيق د / أحمد حجازى السقا ٠
٣٠- خان : وحيد الدين خان :
- الإسلام يتحدى - ترجمة ظفر الإسلام خان ٠ مطابع المختار الإسلامى ٠
٣١- الخازن : ناصر الشريعة ومحى السنة علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن ٠
- تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل طبعة الحلبى ٠

٣٢- الدردير : الشيخ أحمد الدردير .

- توضيح العقيدة المفيد فى علم التوحيد .

- الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٣٣- الدوانى : محمد بن أسعد المشهور بالجلال الدوانى

- العقائد العضدية - الطبعة الأولى سنه ١٣٢٢هـ .

٣٤- الرازى : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على اليتمى البكرى.

- التفسير الكبير . الناشر دار الغد العربى الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .

- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين تحقيق طه عبد الروف سعد - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز .

- تحقيق د / أحمد السقا - المكتب لثقافى بمصر الطبعة الأولى .

٣٥- الرازى : محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى .

- مختار الصحاح - لطبعة الثامنة - المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤م .

٣٦- الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .

- نهاية الإقدام فى علم الكلام .

٣٧- الزرقانى : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .

- مناهل العرفان فى علوم القرآن . مطبعة الحلبى .

٣٨- السنوسى : أبو عبد الله محمد بن يوسف .

- شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى .

- طبعة الحلبى ١٣٥٤ هـ- ١٩٣٦م .

٣٩- الصابونى : محمد على الصابونى .

- النبوة والأنبياء - دار الصابونى .

٤٠- عبد الجبار : أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبدالله .

- شرح الأصول الخمسة - الطبعة الأولى - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٤١- عياض : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٤٢- الغزالى : أبو حامد محمد الغزالى .

- الإقتصاد فى الإعتقاد - مكتبة الجندى .

- تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ١٩٧٢م .

٤٣- غرابة : د/ حمودة غرابة .

- ابن سينا بين الدين والفلسفة .

- دار الطباعة والنشر الإسلامية .

٤٤- القرطبى : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى .

- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مطابع دار التراث العربى - تحقيق د / احمد حجازى السقا .

- الجامع لأحكام القرآن - دار الغد العربى - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٤٥- الفيروز آبادى . محمد بن يعقوب الفيروز آبادى .
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز .
- تحقيق الأستاذ / محمد على النجار .
- المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .
٤٦- الميدانى : عبد الرحمن حسن حنبكة .
- العقيدة الإسلامية وأسسها .
- دار القلم - دمشق - الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٤٧- النسفى : العلامة أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل .
- طبعة الحلبى بهامش الخازن .
٤٨- الواحدى : أبو لحسن،على بن أحمد لواحدى .
- الوسيط فى تفسير القرآن المجيد .
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقهرة تحقيق محمد حسن أبو العزم .

الفهرس

الفهرس

الفهرس